ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

OPEN ACCESS

Original article

The pragmatic-gnostic approach in Imam Ali's (peace be upon him) sermon on the pious: A linguistic approach to meaning-forming strategies

Ali Mohammad Assi Al-Azirjawi
University of Dhi Qar / College of Basic Education

***Correspondence author**:
ali.assi@utq.edu.iq

Received:08 **December** 2025
Accepted: 25 **December** 2025
Published: 01 **February** 2026

DOI:
https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss1.1492

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

Cite:
Al-Azirjawi, A. M. A. (2026). The pragmatic-gnostic approach in Imam Ali's (peace be upon him) sermon on the pious: A linguistic approach to meaning-forming strategies. Wasit Journal for Human Sciences, 22(1). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss1.1492

ABSTRACT

This research aims to uncover the mental and pragmatic mechanisms that contribute to meaning This research aims to uncover the cognitive and pragmatic mechanisms that contribute to meaning production within Imam Ali's discourse, through an analysis of the "Sermon of the God-fearing."

The research seeks to demonstrate how linguistic structures interact with cognitive and communicative intentions to form a system of cognitive strategies, such as intertextuality, allusion, conceptual metaphor, and cognitive guidance of behavior.

The study adopts a pragmatic-cognitive linguistic approach that combines pragmatic tools in analyzing communicative intentions with cognitive linguistic concepts in interpreting the processes of meaning construction and the mental representation of the text.

The importance of this research stems from its contribution to expanding the horizons of linguistic studies of religious texts by employing modern linguistic approaches in analyzing Imam Ali's discourse and highlighting its ability to construct a cognitive awareness that connects language with action and behavior.

Keywords: Cognitive pragmatics, Sermon of the God-fearing, Meaning formation.

التداوليّة العرفانيّة في خطبة المتقين للإمام عليّ (عليه السّلام): مقاربة لسانية لاستراتيجيات تشكيل المعنى

أ. م. د. علي محمد عاصي الازيرجاوي
جامعة ذي قار/ كلّية التربيّة الأساسيّة

المُستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحليل آليات بناء المعنى في خطاب الإمام علي (عليه السّلام)، من خلال دراسة (خطبة المتقين) بوصفها نموذجًا للخطاب الدّيني الذي يجمع بين عمق التّجربة الرّوحية ودقّة البناء اللّغويّ .

وينطلق البحث من المنهج التداولي العرفاني، معتمدًا أدوات تحليل المقاصد التواصليّة، والأفعال الكلامية، والإحالة والتناص، إلى جانب مفاهيم اللّسانيات العرفانية، ولا سيّما الأطر الذهنية، والاستعارة المفهومية، والتوجيه الإدراكي للسلوك، بما يجعل الخطاب العلوي فعلاً لغويًّا مقصودًا موجّهًا للفكر والسّلوك.

وتُظهر نتائج الدراسة أنّ الخطاب العلوي يُحوّل القيم الأخلاقية إلى تجربة إدراكية فاعلة، تُسهم في تشكيل الوعي والسّلوك عبر تفاعل منظم بين البنى اللغويّة والتمثيلات الذهنيّة.

وعلى الرّغم من تعدّد الدراسات التي تناولت (خطبة المتقين) من زوايا بلاغية أو فكرية، فإنّها لم تُعالجها في إطار تداولي عرفاني يدمج بين البعد التواصلي والبناء الإدراكي للمعنى، وهي الفجوة التي يسعى هذا البحث إلى سدّها، بما يقدّمه من قراءة لسانية معرفية جديدة للخطاب العربي التراثي.

الكلمات المفتاحية: التداوليّة العرفانيّة، خطبة المتقين، تشكيل المعنى.

المقدّمة:

تُعَدّ التداوليّة العرفانيّة (Cognitive Pragmatics) حقلاً علميًا حديث النشأة في دراسة اللغة، يقوم على تفسير العمليات الذهنية المصاحبة للتواصل الإنساني (يحيى، 2020، ص. 58)، وتهدف هذه المقاربة إلى الكشف عن كيفية عمل القدرات العقلية في توجيه الاستدلالات التواصلية، وبيان أثر الحالات الذهنية في تحديد المقاصد والمعاني، فضلاً عن تحليل آليات التأويل الذهني التداولي وكيفية توظيف الذهن البشري خبراته الإدراكية وتفاعله مع العالم في فهم الأقوال وتأويلها (المطيري، 2025، ص. 470). فالأبنية الذهنية هي التي تمكّننا في نهاية المطاف من التعامل مع العالم الذي نعيش فيه ونتحدث عنه (لانقاكر، 2018، ص. 18-19).

ومن هذا المنطلق، تقدم اللسانيات العرفانيّة رؤية جديدة لفهم الدلالة، حيث تبتعد عن التعريفات الصارمة وتتبنى نهجًا أكثر ديناميكية يعتمد على التجربة، والتصورات الذهنية، والاستعارات والتفاعل الجسدي مع العالم، هذه المقاربة تجعل من المعني عملية متغيرة تعتمد على الإدراك البشري، وليس مجرد علاقة ثابتة بين الكلمات والأشياء (المطيري، 2025، ص. 471).

وبناء على ذلك، تتّفق اللسانيات العرفانيّة مع التداوليّة بتبني الاستعمال حيث إن المعاني الجديدة للكلمات تنشأ في سياق استعمالها اللغوي الفعلي، كما تتفق مع التداوليّة في استعمال الوسائل اللغوية الخاصة بها للاستدلال على التطور الدلالي في المعنى، لذا تؤكّد على ضرورة السياق والتداوليّة لفهم المعنى (الحلوة، 2013، ص. 6)؛ وبذلك يلتقي البعد التداوليّ بالبعد الروحيّ والمعرفي في

تحليل الخطاب، إذ تُدرس اللّغة من حيث قدرتها على إحداث أثر معرفي ووجداني في المتلقي، مع التّركيز على الاستراتيجيات العرفانيّة التي يوظّفها الإنسان في التّفكير، وتخزين المعلومات، وفهمها، وإنتاجها لغويًا (Bussmann, 1996, p. 197)، ويستند هذا المنظور إلى أنّ الإدراك اللّغوي عمليّة ذهنية ونفسية متداخلة، تُحوِّل المعرفة إلى تجربة وجدانية محسوسة خاضعة لتفاعل الوعي واللاوعي الإنسانيّ (قريرة، 2017، ص. 71)، ويُعنى الاتجاه التداوليّ العرفانيّ بدراسة الكيفية التي تُستثمر بها الألفاظ والتراكيب والأنماط الأسلوبيّة لتوليد وعي معرفي وأخلاقي، بحيث تتحوّل اللّغة إلى وسيلةٍ فاعلةٍ لإعادة تشكيل القيم والمفاهيم في الذّهن، ومن هذا الأساس، تنظر اللّسانيات العرفانيّة إلى اللّغة بوصفها نتاجًا لعمليات ذهنية مركبة، يتكامل فيها النشاط العقلي مع معطيات الفلسفة وعلم النفس وعلوم الأعصاب واللّسانيات والأنثروبولوجيا (عماري،2011، ص. 14).

وتتجلّى أهمية هذا المنظور العرفانيّ التداوليّ في تحليل النصوص التي تتجاوز البنية اللّسانية إلى عمق الوعي والإدراك، كما هو الحال في خطبة المتقين للإمام عليّ (عليه السّلام)، وهي من النصوص التي تتّسم بثراءٍ تداوليّ ومعرفيّ عميقٍ، فالخطبة تُمارس وظيفة توجيهية تسعى إلى بناء إدراك شمولي لمعنى التقوى والفضيلة (الهلالي، 2020، ص. 15)، عبر توظيف شبكة من الاستراتيجيات التداوليّة والمعرفية التي تُفعّل الوعي وتوجّه السّلوك، مثل التناصّ، والإحالة، والاستعارة المفهومية، والتوجيه الإدراكي، إضافة إلى استخدام أدوات الحجاج العرفانيّ كالتقابل القيمي، والصّور الحسيّة، كما يفترض أنّ المنهج التداوليّ العرفانيّ قادرٌ على الكشف عن البنية العميقة للمعنى في النصوص الدينية، لِما يجمعه من أدوات تحليلٍ لغويّ ومنظوراتٍ ذهنية تُسهم في إبراز العلاقة بين الفكر واللغة والسّلوك في الخطاب العلوي.

وانطلاقًا من هذا التصور، يأتي هذا البحث الموسوم بـ **(التداوليّة العرفانيّة في خطبة المتقين للإمام عليّ (عليه السلام): مقاربة لسانية لاستراتيجيات تشكيل المعنى)**، ليكشف عن الآليات اللّغوية التي اعتمدها الإمام في بناء المعنى وتحفيز الإدراك التأملي وتنمية الوعي الأخلاقي والرّوحي لدى المتلقي، ويقوم البحث على مقاربة تحليلية تجمع بين الرؤية التداوليّة النظرية والمنظور العرفاني التطبيقي؛ لتؤسس قراءةً تُبرز تفاعل اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، ووسيلة يتخذها علماء الاجتماع لدراسة الظواهر اللغوية والخطاب المشتمل على المعاني الظاهرة والماورائية، التي أولتها اللسانيات العرفانية اهتمامًا بالغًا يفوق الشّكل، والتي تسهم في تنظيم المجتمع على أسس أخلاقية رصينة (نعمة، والفحام ، 2022، ص. 526).

ويسعى البحث إلى استجلاء هذه الأبعاد عبر ثلاث مباحث رئيسة، يتناول كلٌّ منها آليّة من آليّات التشكيل اللّغويّ والدّلاليّ في الخطبة، بهدف مقاربة جوهرها التّداوليّ والعرفانيّ، والكشف عن فاعلية اللّغة في بناء الوعي وتوجيه السّلوك الإنسانيّ.

المبحث الأول: آليات الاستدعاء العرفاني في بناء الخطاب

تُعدّ (خطبة المتّقين) للإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) من النصوص الثرية من منظور التداوليّة العرفانيّة، إذ إنّ بنيتها اللّغويّة والمعرفيّة تتشاكّل مع مستويات الخطاب باعتبارها فعلاً تواصليًّا يهدف إلى التأثير في المتلقّي عن طريق آليات مدروسة توازن بين الوظائف الإخباريّة والتوجيهيّة والإيحائيّة الرّوحيّة، وذلك انسجامًا مع ما قرّره (أوستن) في نظريته حول الأفعال الكلاميّة الاخباريّة والافهاميّة (بلانشيه، 2007، ص. 133).

يهدف هذا المبحث الى كشف عن الاليات اللّسانية والتداوليّة التي مكّنت الإمام (عليه السّلام) من بناء خطاب يحوّل التقوى من مفهوم عقائدي إلى ممارسة اخلاقية واعية، من خلال تفعيل الاستعارات العرفانيّة، والصّور اللّغويّة، الاستدلاليّة المنطقية التي تنهض بوظيفة التنسيق المعجمي الدّلالي للمعنى؛ وبذلك يعد هذا التحليل مقاربة لسانيّة لواحدة من أهمّ خطاباته، تعنى ببنية المعنى باعتباره نتاجًا لتفاعل السّياق، والمقام، والتوجيه، والمحاكاة النفسية للمتلقّي، وهو ما يجعله نموذجًا خطابيًّا قابلاً للدرس الألسنيّ التّداولي المعاصر.

المحور الأول: الاستدعاء القيمي – المعرفي (Axiological–Cognitive Invocation)

يُعدّ (الاستدعاء المعرفي) واحدًا من الركائز المركزيّة في تحليل الخطاب التداوليّ العرفانيّ، إذ يقوم المتكلم بتفعيل مخزونه المعارفي، إضافة الى القيم المشتركة بينه وبين المتلقي؛ لتسهيل عملية فهم المعنى وبناء شبكة لغويّة مؤثّرة؛ إذ إنّ اللّغة ليست جزءًا منفصلاً عن التجربة الإنسانيّة، وإنّما هي جزءٌ أصيلٌ منها (ستوكويل، 2017 ، ص. 108–109)، وفي (خطبة المتقين)، يعتمد الخطاب في بدايته على استدعاءٍ منظّم لمجموعة من المفاهيم والقيم الكبرى، جزءٌ منها يأتي تصريحًا مباشرًا، والجزءُ الآخر يُبنى بطريقة غير مباشرة عبر السياق ونبرة التوجيه، هذا الاستدعاء ينهض بوظيفة معرفية تُهيّئ أرضية مشتركة بين الإمام (عليه السلام) من جهة، وهمّام ومن خلفه كل متلقٍّ من جهة أخرى، فالمفاهيم التي يطرحها الإمام من مطلع الخطبة تُشكّل تسليمات معرفيّة مسبقة، يتقدم فيها المعرفيّ التوحيديّ على الإدراكيّ العقليّ، ممّا يجعل من الخطبة فضاءً خطابيًا متشابكًا تتناغم فيه الدّلالة الظاهرة مع الحمولة الذهنية الكامنة.

أولاً: بناء المعنى التشاركي: سياق السؤال والجواب

يأتي الخطاب داخل سياق حواري تفاعلي (سؤال همام وإصراره على سماع الجواب)، وهو الذي يجعل الخطبة من بدايتها الأولى قائمة على فعلٍ تشاركي لا يُبنى من طرف واحد، فالسّياق هو سياق طلب موجَّه من متلقٍّ محدّد يريد معرفة (صفة المتقين)، وهذا الطلب نفسه يتحوّل إلى عنصر مكوّن للمعنى، وليس مجرد مبرّر لافتتاح الخطاب.

عرفانيًا، يبدأ الإمام (عليه السلام) بتثاقل عن جوابه (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10 ص. 132)، وهذا التثاقل ليس موقفًا انصرافيًا، وإنّما هو إشارة عرفانية تُعيد تنظيم المشهد الذهني لدى (همّام)، فالتريّث هنا يهيّئ ذهن المتلقي، ويشدّ تشوقه لاستقبال خطاب شديد الأهمية، ويرفع من مستوى الانتباه المعرفي قبل البدء في الوصف، بهذا المعنى، يعمل الإمام على نقل (همّام) من مجرد فضول معرفي إلى حالة استعداد ذهني ونفسي أعمق، فيستقبل الخطاب بوصفه معرفة خطيرة الشأن لا تُقال إلا لمن يطلبها بصدق، كما أنّ الخطبة، كونها إجابة على سؤال، تُبنى على افتراضات مسبقة مشتركة (أن همام يريد أن يكون متقيًا).

تداوليًا، يلعب سياق السّؤال والجواب دورًا حاسمًا في خلق معنى تشاركي، فالمتلقي هنا يشارك في إنتاجه من خلال سؤاله الذي يفتح المجال لخطاب مُفصّل جاء استجابةً لحاجة تواصلية محدّدة، هذا التفاعل يجعل الخطبة استجابة مباشرة لـ(حاجة تداولية) عند همّام، وهي الحاجة إلى معرفة الطريق العملي إلى التقوى.

فضلاً عن ذلك، إنّ انهماك المتلقي في السؤال يمنح الخطاب قوّة تأثيرية أعلى؛ لأنّ الخطبة تأتي بوصفها جوابًا على ما يبحث عنه، لا كمضمون مفروض من الخارج، وهنا يعمل الإمام (عليه السّلام) على تحويل السّؤال إلى مدخل لتشكيل معنى يقوم على المشاركة، لا على التلقي الأحادي، وبهذا يتحوّل الخطاب إلى عملية مشتركة بين المتكلم والسّامع، يُعاد فيها بناء نماذجهم الذهنية حول مفهوم التقوى والسلوك الأخلاقي، ممّا يجعل الأثر الأخلاقي والمعرفي للخطبة أكثر رسوخًا.

ثانيًا: استدعاء مفهوم التقوى: التأسيس المعرفي

يُفتتح خطاب الإمام علي (عليه السّلام) في خطبة المتقين بالنداء: **(يا همّامُ، اتَّقِ اللهَ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132)، وهو نداءٌ يُبنى دلاليًا وتداوليًا بوصفه تحريضًا وجوديًا يتجاوز السّياق الوعظي المألوف إلى تفعيل منظومة روحيّة ومعرفيّة كامنة في وعي المتلقي، هذا التوجيه يمثل نقطة الانطلاق العرفانية، ووفق التداولية العرفانية، يعمل الأمر **(اتّقِ الله)** على استحضار مفهوم التقوى من الذاكرة العرفية للمتلقي، بما يجعله موجّهًا إدراكيًا للسلوك لا مجرّد صيغة إلزامية ، ينبني على خلفية معرفية وثقافية مشتركة بين الإمام والمخاطب، وهو ما يُعطي للخطاب فعاليته التأثيريّة، فالخطاب يفترض حضوره المسبق في الوعي الجمعي، ويعيد تفعيله بوصفه إطارًا معرفيًا موجّهًا للفهم، مع توقع تجاوب ذهنيّ مُسبق من قبل (همّام)، بهذا المعنى، تُعد (التقوى) مقدمة أو دعامة أساس ترتكز أو تقوم عليها عملية الترويض، أو عملية التأسيس الذاتي، تلك العملية المتأتية من مبدأ التعقل القلبي، الذي يضم ثلاث ملكات إدراكية ، اثنتان تؤلفان النظام الإدراكي الداخلي (العقل المجرد والقلب، والثالثة ملكة الحس التي تؤلف نظام الإدراك الخارجي؛ أي العالم المحيط بطرفي عملية الخطاب المرسل والمرسل إليه، فتكون حلقة وصل بين الواقع الخارجي والداخلي النفسي (نعمة، والفحام ، 2022، ص. 531).

تقدم هذه البنية الخطابيّة نموذجًا مميّزًا لخطاب تداولي يستدعي المفاهيم الكبرى ويعيد تفعيلها من خلال السّياق، بما يجعل التقوى نسقًا معرفيًا جامعًا، لا مجرد قيمة وعظية، فـ(التّقوى) في هذا السّياق ترتقي إلى مستوى الإطار المفهومي الذي يتآلف فيه الفعل اللغوي مع الدافع العرفاني، فتغدو اللغة منتجة للوعي ومؤطّرة للعلاقة بين الإنسان والمقدس، إذ إنّ اللغة ليست كيانًا مكتفيًا بذاته بقدر ما هي حاصل تفاعل عوامل داخلية ترجع إلى خواص الكائن البشري الذاتية، وخارجية ناتجة عن تجربة العالم في أبعادها الفيزيائية والبيولوجية، والسلوكية النفسية والاجتماعية الثقافية (بخوش، 2021، ص. 8).

وعليه، فإن (استدعاء التقوى) في خطبة المتقين يشكّل حجر الزاويّة الذي تتأسس عليه شبكة المعاني اللاحقة في الخطبة، وتتبثق عنه باقي مستويات التوجيه الرّوحي والأخلاقي، في تلاحم يبرز الوعي التداولي للإمام وقدرته على توجيه المعنى عبر الوعي المشترك لا عبر الإلزام المباشر.

ثالثًا: تفعيل منظومة القيم بوصفها ركيزة تداوليّة مشتركة

تمثل الإحالة أحد أبرز الجوانب الإخباريّة التّواصلية التي المرتبطة بقواعد المحادثة ومراعاة الاستعمال (الجراح، 2019، ص. 189)، إذ يُفعّل الإمام عليّ (عليه السّلام) في مستهل خطبة المتقين آليةً تداوليّة دقيقة تستند إلى استدعاء نصّ قرآنيّ محوريّ يشكّل مرتكزًا دلاليًا ومعرفيًا لبناء الخطاب: ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾[النحل:128]، وهو استدعاءٌ يعمل كفعلٍ لغويّ مركّب

يعيد تفعيل منظومة معرفية قِيمية راسخة في وعي المخاطب، بهذا الاستدعاء، ينتقل الخطاب من الخطاب الوعظي المباشر إلى مستوى أعمق من (التّمثيل الرّمزي) حيث تُستثمر النّصوص الدّينية كحوامل لمحتوى تداولي مشترك، وهذا يتناسب مع أحدث تعريفات التداوليّة بأنّها دراسة اللّغة في التّواصل والمعرفة(ربول، وجاك موشلر، 2003، ص. 9).

فالإمام عليّ (عليه السّلام) يستثمر ما يمكن تسميته بـ (الدلالة العرفانيّة المؤسسة)، حيث تُصبح الآية مُحرّكًا ذهنيًا يستدعي الحقول الأخلاقية والدّينية في ذهن المتلقي، فيعيد ترتيبها داخل إطار تداولي مُشترك، لا يحتاج إلى تفصيل أو تفسير؛ إذ يُترجم هذا الاستدعاء القرآني إلى آلية تداولية تستند إلى ما يُعرف بـ (الفضاءات الذّهنية) التي تعنى بتفسير العلاقة بين دلالة الأبنية اللّغوية المنجزة والآليات الذهنية التي تنتج تلك الدّلالة وتأويلها في ضوء قرائن تركيبية ومقامية وثقافية واجتماعية تمكن للمخاطب من الاهتداء إلى الدّلالة المقصودة إلى المحال عليه داخل تلك الأبنية (بوطيش، 2022، ص. 216) ، حيث يستحضر المتلقي، دون وعي منطقي مباشر، صورةَ المتقي المُحسن التي شُكّلت عبر تراكم نصوص وتراث جمعي.

وتتجلّى فاعلية هذا النمط الخطابي في اعتماده الاستدعاء العرفاني بدل الشرح المباشر، بما يجعل المتلقي شريكًا في إنتاج الدلالة لا مستهلكًا لها؛ إذ تنطوي اللغة في هذا السياق على مرجعياتها الدلالية والرمزية، فتتحول من مجرّد خطاب تبليغي إلى ممارسة ذهنية تواصلية تُفعِّل عمليات الاستدلال التخاطبي بين المخبَر والمخبِر (يحي، 2020، ص. 63). ومن خلال هذا التفاعل التأويلي، يُعاد تشكيل العلاقة بين النص والمتلقي، بحيث يُهيَّأ الأخير لتلقّي بقية الخطبة بوصفها امتدادًا طبيعيًا للمرجعية القرآنية التي انبثق منها الخطاب ابتداءً.

ومن هنا، تُصبح الكلمات المفتاح في الخطبة (التقوى، الإحسان، الخشوع، التواضع) إشارات تداولية إلى (نماذج أخلاقية) تستمد حضورها من هذا النص المؤسّس، وبذلك يعمل الخطاب على استحضار صفات المتقين ضمن إطار مرجعيّ مؤسَّس على خطاب الوحي، وتغدو الإحالة النصية في هذا السياق مدخلاً لإنتاج التزامٍ سلوكي ضمني يعيد ترتيب العلاقة بين اللّغة والعالم، إذ تحوّل الاهتمام من الأثر اللساني إلى الأثر الذهني فالخطاب يحمل تأثيرات ذهنية، وكل الألفاظ تضمر مؤثرات مختلفة؛ حيث تحمل الخطابات توجيهات مختلفة إلى المتلقي، ويتجلّى ذلك عند كل من (سورل وأوستين) اللذين اعتبرا أن تأويل الأقوال يتم بطريقة ترميزية ويكون قصد المخاطب مبثوثًا في الجملة أو القول، وهذا ما سماه سورل (مبدأ الإبانة) (ربول، وجاك موشلر، 2003، ص. 43)، ومعناه ان القصد والغرض من الكلام ظاهر على مستوى القول (الحاج،2015، ص. 115).

رابعًا: التحويل الأسلوبي كاستراتيجية تداولية

يُلاحَظ أنّ خطاب الإمام عليّ (عليه السلام) في خطبة المتقين، يُبنى على آلية تداولية عميقة تجعل المتلقي شريكًا فاعلًا في بناء المعنى والسلوك، عبر تفعيل الاستدلال النصّي والعرفاني.، فبعد استحضار النصّ المؤسِّس، ينفتح الخطاب على فضاء وصفيّ نابض بالحياة، يتجلّى فيه ما يمكن تسميته بـ (التجسيد الخطابي)، حيث تُدنى المفاهيم المجردة إلى مستوى الإدراك الحسّي والعرفانيّ، لتغدو صورًا حيّة ملموسة أمام المتلقي، في ما يشبه عملية التفعيل الذهني الموجَّه التي تجعل اللّغة أداة استحضارٍ للمعرفة والسّلوك معًا (Bussmann,1996, p. 197).

يتجلّى هذا التحوّيل بوضوح في قوله (عليه السلام): **(فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132)، فالجملة تمثّل نموذجًا للأسلوبيّة التجسيديّة؛ إذ تُقدّم نسقًا حياتيًا واقعيًّا متعيّنًا، تُوظَّف فيه الصّفات السّلوكية المتجسدة في الأسماء المشتقة (منطقهم، ملبسهم، مشيهم) لتدلّ على رسوخ هذه السّلوكات في كيان المتقين، فهي عادات وجودية راسخة تُحيل إلى نمط حياة مستمرّ، يجسّد فيه المتقي نموذجًا إدراكيًا وسلوكيًا ثابتًا ومتواصلاً عبر الزّمن، وهو ما يتوافق مع التصوّر العرفانيّ الذي يرى في اللّغة وسيلةً لإعادة بناء الخبرة الذّهنية في شكلٍ مجسَّد قابل للإدراك (Lakoff & Johnson, 2003, p. 56, 58).

يتّضح في هذا الوصف أنّ البنية اللّغوية لخطبة المتقين تنفتح على أفقٍ تداوليّ عرفانيّ متكاملٍ، إذ تتعاضد الإشارة اللّسانية الظاهرة مع ما يمكن وصفه في التداوليّة العرفانيّة بـ (البنية الإشارية الأفقية)؛ وهي وحدات واصلة تمكن من الرّبط بين اللّغة والواقع السّلوكي لدى المتلقي (باديس، 2010، ص. 57) (القول، اللّباس، المشي)، لتُشيّد شبكة إدراكية تُرسّخ النموذج الأخلاقي في الذّهن الجمعي بصورة طبيعية، هذا النمط من الرّبط التداوليّ يجعل اللّغة أداة لإنتاج الخبرة لا لوصفها فقط، إذ يتفاعل فيها المستوى التركيبي مع الوظيفة الذهنية للغة، في ما يُعرف بالاستدعاء المعرفي.

ولتعزيز هذا الأثر التداولي، يوظّف الإمام عليّ (عليه السلام) تقنية المفارقة الحجاجية، كما في قوله: **(عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 133)، إذ يقدّم هذا التّركيب نموذجًا مكثّفًا للتوازي الدّلالي؛ فالتقابل بين العظمة و الصغر يسهم في إعادة هيكلة العلاقة الإدراكيّة بين المستويين النفسي (الدّاخلي) والحسيّ (الخارجي)، فالمتلقي هنا يُستدرَج إلى عملية إدراكية مزدوجة تجمع بين تأمل الذّات واستشعار الأثر، وتؤكّد الدّراسات العرفانيّة الحديثة هذا النمط من التقاطع الإدراكي الذي يعيد ترتيب عناصر الوعي داخل الحقل الدّلالي (بودرع، 2016، ص. 233)، وعبر هذه الاستراتيجيات الأسلوبية الدقيقة، يُحوّل الإمام عليّ (عليه السّلام) الخطاب من مستوى وصف المحتوى إلى مستوى بناء الوعي، فيصبح المتلقي مشاركًا في بناء المعنى، لا مجرد مستقبل له، أي أنّ الخطاب ينقل الفكرة الأخلاقية من حقل الإخبار إلى حقل التّجربة الإدراكية، اذ يتيح من جهة لمستعمل اللغة الطبيعية من استخدام مدركاته الحسية في موقف تواصلي معين لانتاج أو تأويل العبارات اللّغوية وهي من جهة ثانية، تتيح له اشتقاق معارف معينة من مدركاته الحسية يضيفها إلى معارفه العامة التي يستخدمها أيضًا في عمليتي الإنتاج والفهم؛ بذلك نرى وجهًا من وجوه التفاعل بين الملكتين الإدراكية والمعرفية في بناء المعنى (المتوكل، 1995، ص. 18)

ويتعمّق هذا الأثر في الخطبة من خلال تكرار الضمائر الجماعية بصيغ مثل: (هم، لهم، قلوبهم، قاموا)، وهي أدوات إحالية تداولية تُفعّل ما يُعرف بـ (الإحالة الجماعية العرفانيّة)، فالجملة: **(مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132)، تُقدِّم نموذجًا مثاليًا للتمثيل الجماعي في الخطاب؛ إذ تُحيل الضّمائر إلى جماعة متخيلة تتجسّد فيها القيم، وتدعو المتلقي ضمنًا إلى الاندماج في هذا النموذج؛ ممّا يجعل المتلقي جزءًا من البنية الخطابية ذاتها (سلون، 1996، ص. 34).

بهذا المعنى، يصبح الضّمير الجمعي آليّة تداولية عرفانيّة لإعادة تفعيل الوعي الأخلاقي الجمعي، وتحويل المتلقي من متأمل خارجي إلى مشارك فعلي في بناء التجربة القيمية، فخطاب الإمام عليّ (عليه السلام) يُعيد استدعاء جذور الهويّة الإيمانيّة في ذهن المتلقي، في حوار داخلي متجدّد يجعل الخطبة حدثًا إدراكيًا تواصليًا يربط بين المعرفة والسّلوك، واللّغة والوعي، والفكر والممارسة.

المحور الثاني: الاستدعاء التناصي القرآني (Quranic Intertextual Invocation)

يُعَدّ التناصّ (Intertextuality) أحد الرّكائز الأساسيّة التي انبنى عليها علم لغةِ النصّ، وهو يبحث في التراكمات الطبقية للنصوص التي يتركب منها النصّ، فلا شكّ أنّ النصّ يتمظهر في كيفيات مختلفة وراءها مقصدية المرسل، ومراعاة مقصدية المخاطب، والظّروف التي يروج فيها النصّ، وجنس النصّ وهذه الماورائيات نفسها تؤدي إلى اختلاف استراتيجية التأويل من عصرٍ إلى عصر ومن مجموعةٍ إلى مجموعة ومن شخصٍ إلى شخص، بل إن الممارسة التأويلية الشّخصية دينامية)) (مفتاح، 2016، ص. 146-147).

تحدث للمتلقي تراكمات في ضوئها ينمي عملية التأويل، فضلاً عن أنّ النصّ الإبداعي يحمل في طياته صيرورة لغويّة منظمة قد يبوح عن المعنى دون جهد وكدّ للذهن، وقد تقدّم بطريقة مبهمة وغامضة تحتاج إلى إعمال الفكر لتفهم وتؤوّل، وقد تصاغ في تمثيل تدرك معانيه الحرفية ولكنّها لا تكون كافية لإدراك المغزى، وعليه، يقتضي التناص – بوصفه بعدًا من أبعاد القراءة – أن يكون المتلقي على قدرة عالية وذاكرة قوية من أجل الكشف عن النصوص المتناصة مع النصّ الأصلي، فالتناص إذًا هو بمثابة بؤرة تستقطب إشعاعات النصوص الأخرى وتتحدد مع هذه البؤرة لتؤسس النص الجديد المتناص ومن ثم يخضعان في الآن نفسه إلى قوانين التشكل او البناء وقوانين التفكك فيما بعد، أيّ الأصالة إلى مرجعية أو إلى نصوص أخرى (عبد المنعم، وعباس، 2014، ص. 594).

وفي ضوء اللسانيات التداوليّة والعرفانيّة، يكتسب مفهوم التناص بعدًا أكثر عمقًا من مجرد حضور نصوص أخرى داخل النص، إذ يتحوّل إلى آليّة معرفية تداولية تساهم في بناء المعنى وتوجيه الفهم، وعليه فإن كلّ تعريفات التناص تظهر هذا التفاعل والتعالق والالتقاء والتداخل اللفظي أو المعنوي بين نصّ ما ونصوص أخرى سبقته (عفيفي، 2010، ص. 81)، وهذا يعني أن النصوص السابقة تشكل خبرة لتكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها، وتؤسّس النصوص اللاحقة هي بدورها لنصوص أخرى تأتي بعدها؛ لتصبح عملية استدعاء معرفي تُفعّل في ذهن المتلقي شبكات مفهومية مختزنة في الذاكرة الطويلة الأمد (إبرير، 2004، ص. 26).

وعند التمعن في خطاب الإمام عليّ (عليه السلام) في خطبة المتقين نجد أنه يُظهر قدرة فائقة على توظيف التناص القرآنيّ بوصفه أداة معرفية عرفانية متقدمة، تتجاوز حدود الاقتباس النصيّ البسيط لتصبح فعلاً ذهنيًا موجّهًا يدمج بين المعرفة المكتسبة سابقًا والخبرة السّلوكية والمعرفية للمتلقي؛ ممّا زاد في جمالية نصوصه وتأثيرها التصويري من حيث القداسة وصدق التعبير، الشيء الذي ساعد الإمام (عليه السلام) على خلق نصٍ جديدٍ تماسكت أجزاؤه وتعالقت ألفاظه ومعانيه؛ فخرجت الصورة التي عبر فيها عن الفكرة واضحة الأبعاد والدلالات (عبد، 2016،ص250)، بما يتيح تحويل المتلقي من موقع التلقي السّلبي إلى شريك فاعل في بناء المعنى،

وهو ما يتوافق مع مفاهيم التداوليّة العرفانيّة التي ترى في اللّغة وسيلة لإحداث أثر إدراكي ووجداني متكامل (يحي، 2020، ص. 62-63).

ويظهر هذا البعد التداولي العرفاني بوضوح من خلال مستويات متعدّدة للاستدعاء الذّهني، يمكن تحليلها وفق أربعة محاور مترابطة:

أولاً: المرجعية النصية: تأسيس السلطة المعرفية

يُبنى الخطاب العلويّ في (خطبة المتقين) على شبكة تناصية كثيفة ومتعددة المستويات، تُفعِّل المرجعية القرآنية في وعي المتلقي بوصفها بنية تداولية وعرفانية في آنٍ واحدٍ، فالتناص هنا فعل إدراكي قائم بالاستدعاء النصّي لتفعيل منظومة من الأطر الذهنية والقيمية المشتركة بين الإمام والمتلقي، وبذلك يتحوّل التناص من كونه شكلاً بلاغيًا إلى ممارسة ذهنية تشاركية تُسهم في بناء المعنى وتقويم السلوك عن طريق نقل مخاطبه بين قضاءات ذهنية مترابطة نحويًا ومنطقيًا تُيسّر لذلك المخاطب فهم تلك البنية والاهتداء إلى الدلالة المقصودة (الذويبي، 2016، ص. 21).

يبرز هذا النمط من الاستدعاء منذ افتتاح الخطبة، حين طلب همّام من الإمام عليّ (عليه السلام) أن يصف له المتقين، فاكتفى الإمام أولًا بإيجازٍ قصديّ قائلاً: **(يا همّامُ، اتقِ اللهَ وأحسنْ، فإنَّ اللهَ معَ الَّذين اتقوا والذين هم محسنون)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132)، وهي إحالة نصيّة مباشرة إلى الآية (128) من سورة النحل؛ غير أنّ هذا التوظيف يُستدعى بوصفه إطارًا معرفيًا كاملاً يعيد تفعيل شبكة دلالية راسخة في ذهن المتلقي، تشمل معاني المراقبة الإلهية، والمصاحبة الربانية، والجزاء الأخروي، ومن خلال هذا الاستدعاء القرآني، يُنشئ الإمام عليّ (عليه السلام) علاقة تواصلية خصبة مع السامعين؛ لأنّه كان مدركًا لأثر التوظيف القرآنيّ في خدمة نصوصه فهو يجعل التواصل بينه وبين المتلقي تواصلاً خلاقًا لما يجمع بينهما من رصيد زاخر بتقديس القرآن والتأثير بمعانيه العظيمة (عبد، 2016، ص. 251)، فيحوّل الخطاب إلى مساحة مشتركة تستند إلى رصيد معرفي وروحي واحد.

وبمنظور التداوليّة العرفانيّة، تعمل هذه الإحالة بوصفها محفّزًا إدراكيًا يُفعّل بنية التصوّر الجمعي حول مفهومَي التقوى والإحسان، بحيث لا يحتاج المتلقي إلى شرحٍ تفصيلي، إذ تنشط لديه بصورة تلقائية خرائط معرفية مسبقة عن صفات المتقين وسلوكهم، فالآية تمثل بُنية مفهومية مختزلة ومحمّلة بقيمٍ معيارية، والإمام (عليه السلام) يوظّفها لتوجيه عملية الفهم داخل ذهن السامع نحو المقاصد الأخلاقية الكبرى للخطبة، وبذلك يصبح التناص هنا فعلاً ذهنيًا لا لغويًا فقط، إذ يُعيد تشكيل العلاقة بين اللغة والإدراك من خلال تفعيل مخزون الذاكرة النصية؛ لأنّ أساس إنتاج أي نصّ هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي (مفتاح، 1992، ص. 123).

ويتكرّس هذا الاستدعاء القرآني لاحقًا في قوله (عليه السّلام): **(فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ)**، حيث تُعاد صياغة البنية المفهومية الأولى (التقوى والإحسان) داخل توصيفٍ تعريفي يشيّد هوية المتقين من الداخل، فالجملة الاسمية ذات الطابع الثبوتي تُرسّخ المفهوم وتحوّله من إطارٍ قرآني إلى نموذجٍ عرفاني يتجاوز الوصف إلى التمثيل، كما أنّ الخطاب ينتقل في اللحظة التالية إلى تحويل تلك الهوية من حالةٍ ذهنية ساكنة إلى سلوكٍ إدراكي متحرك، عبر قوله (عليه السلام): **(غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا**

أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَـهُمْ. نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ...) (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132).

هذا التحوّل من الثبوت إلى الفعل يُظهر البنية العرفانيّة الدينامية للخطاب العلوي؛ فالإمام عليّ (عليه السلام) يقدّم تمثيلاً إدراكيًا لأفعالهم الحسية التي تعبّر عن حالاتٍ معرفية داخلية، وهنا يعمل التناص القرآني كمنظومة تُمكّن المتلقي من ترجمة القيم المجردة إلى سلوكٍ إدراكي عملي، فيتحوّل النصّ إلى فضاءٍ تفاعلي تتلاقى فيه الدّلالة اللفظية بالتصور الذهني والسّلوك الخارجي (يحي، 2020، ص. 75).

إنّ البنية التناصية في هذا المستوى تُعيد بناءها داخل سياق تداولي جديد؛ إذ يتداخل فيها النصّ القرآنيّ مع الوعي العرفاني للإمام ليشكلا معًا خطابًا معرفيًا يوجّه المتلقي نحو إعادة تموضعه داخل نسقٍ قيمي متكامل، وبذلك يُصبح التناص في (خطبة المتقين) آليّة استدعاء للمرجعية النصّية المشتركة بوصفها عملية ذهنية حيّة تعمل على إعادة تنشيط الذاكرة النصّية وتحويلها إلى طاقة معرفية تنتج المعنى وتعيد صياغة الوعي.

ثانيًا: التناص بوصفه توجيهًا إدراكيًا للسلوك

ينبثق التناصّ من الوعي بوصفه فعلاً إدراكيًا يتجاوز حدود اللغة إلى فضاء التفكير والسلوك، إذ يُستثمر حضور النصوص السابقة ولا سيما المقدّسة منها في تشكيل البنية المعرفية التي تحكم الفهم والعمل معًا، فالتناص هنا يتحوّل إلى آلية ذهنية توجه الإدراك وتضبط السلوك وفق منظومة قيمية ومعرفية مشتركة بين المتكلم والمتلقي، وعن طريق هذا التفاعل، يغدو التناص أداة لخلق توافق إدراكي وسلوكي يسهم في توجيه الفعل الإنساني في ضوء الوعي الجمعي والمعرفة السابقة التي تختزنها الذاكرة الثقافية.

يتجلى ذلك بوضوح في قوله عليه السلام: **(مَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ...)**(ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132)، الذي يتناظر مع قول الله تعالى في حكايته عن لقمان: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ**﴾ [لقمان: 19]، في هذا التناص، يُحوَّل السلوك الحسي للمشي إلى تجسيد ملموس للفضيلة الأخلاقية، بحيث يُدرك المستمع التواضع كسلوك حي يُمارس ويُحسّ على مستوى الجسد والوعي، مما يعزز التفاعل الإدراكي الجسدي مع المعنى الأخلاقي، ويتيح ربط القيم الدينية بالسلوك اليومي، فتتكامل المعرفة الأخلاقية مع التجربة العملية ضمن سياق متفاعل ومتواصل .

ويستمر هذا التوجه الإدراكي السلوكي في قوله (عليه السلام): **(غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132)، الذي يتناظر مع الآية القرآنية: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ**﴾ [النور: 30] يُوظَّف التناص هنا لإعادة التوجيه الإدراكي للمعنى الأخلاقي ضمن سياق تداولي عرفاني بحيث يتحول الأمر الإلهي من مجرد نصّ تشريعي إلى بنية سلوكية معرفية حية؛ فالفعل (غضّوا) يتجاوز كونه حركة بصرية إلى عملية ضبط ذهني متكامل، تجمع بين الإرادة المعرفية والانفعال الأخلاقي، فتتحقّق الطاعة كنتيجة وعي داخلي مستند إلى المرجعية القرآنية، لا مجرد التزام خارجي، فالمتقي في سلوكه يغض بصره عن المحرمات، بل وحتى عن الملهيات التي تذكره الدنيا (القبانجي، 2011، ص. 19).

من هذا المنظور، يصبح التناص القرآني أداة لإعادة بناء الإدراك الأخلاقي والسلوكي، حيث يعيد تنظيم علاقة المتلقي بعالمه الداخلي والجسدي وفق منطق الطهارة المعرفية، ويحوّل الامتثال الأخلاقي إلى فعل تأويلي معرفي متكامل، يعكس عمق ووعي المتلقي بالقيم الإلهية ويجعل الخطاب العلوي عاملاً فاعلاً في تشكيل سلوك المؤمن على مستوى الفكر والوجدان معًا، بذلك يتجسّد البعد التداولي في الخطاب، فيتحول السلوك الأخلاقي إلى خطاب قائم بذاته، يُعيد توجيه الإدراك الفردي والجماعي ضمن شبكة من القيم والمعايير الأخلاقية المبنية على النص القرآني.

ثالثًا: التناص بوصفه استدعاءً تقييميًا ومعيارًا تداوليًا

يلعب التناص دورًا في إعادة تشكيل المعايير الأخلاقية والقيمية للمستمع، بحيث يتحوّل من مجرد فهم نظري إلى معيار عملي يمكن القياس به داخل المجتمع، فالخطاب العلوي يربط الفضائل أو المحظورات بتأثيراتها الاجتماعية والمعرفية، مستفيدًا من الإحالات القرآنية كأساس لتحديد ما هو حسن وما هو سيئ، وإنتاج أثر معرفي مباشر على وعي المستمع وسلوكه، بما يجعل النص القرآني أداة تداولية حيّة للرقابة الذاتية والضبط الاجتماعي.

تتجلى الإحالة التناصية بوصفها استدعاءً تقييميًا ومعيارًا تداوليًا في قوله (عليه السلام): **(مَكْظُومًا غَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 184)؛ إذ يُعيد الإمام عليّ (عليه السلام) إنتاج الدلالة القرآنية الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران: 134]، لكن في سياقٍ تداولي يضفي على القيمة الأخلاقية طابعًا تفاعليًا ومعرفيًا جديدًا، فالتناص هنا يعمل على تفعيل النموذج القرآني للكظم والعفو ضمن منظومة قيمية معيارية تعيد تنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع في ضوء التقوى كسلوك إدراكي واعٍ، إنّ الإمام (عليه السلام) يحوّل القيمة القرآنية من كونها وصفًا مثاليًا إلى مقياس إدراكي عملي يُختبر به الإنسان في محكّ السلوك، بحيث يصبح كظم الغيظ طاقة وجدانية مُعاد توجيهها نحو الخير، تُنتج أثرًا محسوسًا في المجال التواصلي والاجتماعي، فالمؤمن المتقي في تصوّره من يُعيد تشكيل انفعاله في صورة عطاء، ليبلغوا الدرجة العليا في امتزاج الفكر بالسلوك فيُؤمَن شرّه كما يُؤمَل خيره، وبذلك يتحوّل الضبط الأخلاقي إلى معيار تواصلي لثقة الجماعة واستقرارها(الهلالي، 2020، ص. 20) .

وعلى هذا النحو، يتحول التناص من كونه إحالة إلى كونه آلية تقييمية تنظّم الفعل داخل النسق التداولي، فيصبح الخطاب أداة لتقويم المعايير وضبط العلاقة بين الانفعال والسلوك والمعرفة، وهذا ما يجعل القول العلوي فعلاً تداوليًا متجاوزًا للإرشاد الوعظي، إذ ينقل المفهوم القرآني من مستوى الإدراك اللغوي إلى مستوى التمثّل العملي، فالقيمة تُمارس إدراكيًا بوصفها بنية موجهة للفعل، بهذا التفعيل العرفاني التداولي، استطاع الإمام (عليه السلام) في تحويل (كظم الغيظ) من فعل سلبيّ إلى ممارسة إيجابية تفيض سلامًا وتنتج طمأنينة اجتماعية، فتغدو التقوى بذلك مقياسًا موضوعيًا لتوازن الذات والعقل والعاطفة في ضوء النموذج الأخلاقي القرآني الحيّ.

وفي موضع آخر يتجلّى البعد التناصي بوصفه استدعاءً تقييميًا ومعيارًا تداوليًا في قول الإمام عليّ (عليه السلام): **(لا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ، وَلا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، ولاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 149)، وهو تناصّ مباشر مع قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ، بِئْسَ الِاسْمُ**

الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: 11]، يُوظَّف الإمام (عليه السلام) النص القرآني لإحياء القيم الأخلاقية في وعي المتلقي ضمن نسق تداولي عرفاني يجعل من اللغة نفسها ميدانًا لتقويم السلوك وإصلاح البنية الإدراكية للجماعة المؤمنة.

ففي حين تضع الآية الكريمة قاعدةً قيمية لضبط التفاعل الاجتماعي بعد تحقق الإيمان، فإنّ الإمام عليّ (عليه السلام) يُفعِّل هذا المبدأ داخل خطابه عن المتقين بوصفه نظامًا إدراكيًا سلوكيًا يحكم العلاقة بين الذات والآخر، يُنظر إلى النهي عن التنابز هنا كفعلٍ ذهنيٍّ تنظيميٍّ يوجّه المتكلّم إلى مراقبة إنتاجه اللغوي بوصفه امتدادًا لمنظومته القيمية الداخلية، إنّ الكلمة، في هذا المنظور العرفاني كيان معرفي أخلاقي يُجسّد درجة الوعي والنقاء الروحي لدى المتكلّم، ولذلك يغدو (الامتناع عن التنابز) تجسيدًا عمليًا للتقوى الإدراكية، التي توحّد الفكر والوجدان والسلوك ضمن نسق قيمي متكامل.

ومن زاوية التداوليّة العرفانيّة، يُمارس هذا التناص وظيفة مزدوجة: فهو أولاً يُفعّل النموذج التصوري القرآني الذي يُقيم علاقة سببية بين الانزياح اللغوي والانحراف الأخلاقي؛ إذ إنّ (التنابز) يُعَد انحرافًا سلوكيًا وإدراكيًا يُشوّه مفهوم الآخر في الذهن الجمعي، وثانيًا، يُعيد هذا التناص بناء (المشترك المعرفي) (Common Ground) بين الخطيب والمستمعين، بحيث يُذكّرهم بأنّ الكلمة تمثل جوهر الهوية الإيمانية وأنّ تطهير القول مقدّمة لتطهير الفعل، وهكذا، يُفعِّل الخطاب بنية استدعاءٍ معرفيٍّ جماعي تربط بين الأخلاق الفردية والنظام الخطابي العام، فيصبح ضبط اللسان مقياسًا لتماسك الجماعة واستقامة وعيها.

وبذلك يرتقي التناص في هذا المقام إلى مستوى الفعل الإصلاحي التداولي الذي يُعيد بناء الوعي بالقيمة، ويحوّل المرجعية القرآنية إلى مبدأ تواصليٍّ حيٍّ يُنظّم إنتاج المعنى داخل الخطاب الاجتماعي، فالإمام عليّ (عليه السلام) يُعيد صياغة العلاقة بين اللغة والتقوى في ضوء الرؤية القرآنية التي ترى القول فعلاً مسؤولاً، وتربط بين (الفسوق بعد الإيمان) وبين الانفصال المعرفي عن جوهر الكلمة الطيبة، ومن ثمّ يتحوّل النهي القرآني إلى ممارسة إدراكية مستمرة، تفرض على المؤمن أن يُعيد كلّ قولٍ إلى مرجعه الأخلاقي قبل أن ينطقه، فيغدو الخطاب ذاته صورة من صور العبادة العرفانيّة، ويصبح الصمت عن التنابز أسمى درجات الوعي بالتقوى.

رابعًا: التناص كآلية اندماج بين الذاكرة النصية والإدراك العرفاني

يتجلّى التناصّ بوصفه آلية اندماج بين الذاكرة النصية والإدراك العرفاني في الخطاب العلوي بأبهى صوره في (خطبة المتقين)، إذ يقدّم الإمام عليّ (عليه السلام) نموذجًا فريدًا لعملية معرفية تداولية تجعل النص القرآني مكوّنًا عضويًا في بنية التفكير والسلوك معًا، فالإمام (سلام الله عليه) يوظّف الآيات كأدوات ذهنية تعيد تشكيل الوعي الأخلاقي من الداخل، لتعمل الذاكرة النصية القرآنية كآلية إدراكية تتفاعل مع الموقف الخطابي في إنتاج المعنى.

يتضح ذلك في قوله (عليه السلام): **(يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 148)، الذي يتناصّ بعمق مع الآية الكريمة: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾ [المؤمنون: 60]، فالإمام(عليه السلام) يُعيد إنتاج الصورة القرانية ضمن إطار تداوليٍّ جديد يجعل من (الوجل) حالةً إدراكية ديناميّة مصاحبة للفعل، لا صفةً لاحقة له؛ فـ(الوجل) عنده محفّز معرفيٌّ وسلوكيٌّ يتولّد داخل لحظة الأداء الأخلاقي نفسها، إنّه يقظة الوعي أثناء الفعل، وشعور داخلي بالمسؤولية أمام الله، يجعل العمل الصالح تجربة وجدانية متجدّدة تتكامل فيها المعرفة مع الإيمان، وبهذا التحويل الإدراكي، ينتقل المعنى القرآني من مستوى

التصوّر اللفظي إلى مستوى الممارسة الشعورية، فيندمج النص المقدّس في البنية الإدراكية للمتلقي، ليصبح المرجع القرآني جزءًا من نظامه العرفاني الحيّ.

وفي موضع آخرَ يتجلّى التناص بوصفه آلية اندماج بين الذاكرة النصية والإدراك العرفاني في قوله (عليه السلام): **(أَمَّا اللّيلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ، يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً... وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 133)، حيث يشكّل النص مثالاً على تناص مزدوج مع الآيتين: ﴿**أَمِنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾[الزمر: 9]، و﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل: 4]، في هذا السياق، يدمج الإمام(عليه السلام) بين الالتزام الليلي بالعبادة والانضباط في تلاوة القرآن، محوّلاً الطقوس الفردية إلى ممارسة معرفية عرفانية متكاملة، تعكس العلاقة العضوية بين الوعي الروحي والسلوك الفعلي للمؤمن، فالتلاوة فعلٌ معرفيٌّ يرسّخ حضور النصّ القرآنيّ في الذهن، ويجعل منه إطارًا سلوكيًا وإدراكيًا يُحاكي تجربة التقوى على مستوى الجسم والوجدان.

من خلال هذا التناص، يصبح المستمع شريكًا نشطًا في إنتاج المعنى، إذ يستحضر ما تعلمه سابقًا من المعرفة القرآنية ويطبقه في سلوك يومي ملموس، كل اقتباس أو تلميح إلى الآيات المقدسة يعمل كحلقة وصل بين الذاكرة النصية للمتلقي والفضيلة العملية التي يسعى الإمام(عليه السلام) إلى ترسيخها، مما يعمّق الإدراك الأخلاقي ويحوّل الخطبة إلى تجربة معرفية سلوكية متعددة الطبقات، بهذه الطريقة، يتحول المفهوم المجرد للتقوى من فكرة نظرية إلى ممارسة حيّة في الحياة اليومية، حيث تتلاقى الذاكرة القرآنية مع الإدراك العرفاني، ويصبح الخطاب العلوي آلية فاعلة لبناء الذات الروحية والسلوك الأخلاقي في آنٍ واحدٍ.

المبحث الثاني: استراتيجيات التشكيل المعرفي وبناء المعنى في (خطبة المتقين)

يقدّم الخطاب العلويّ في (خطبة المتقين) نموذجًا بالغ الدقّة لكيفية توظيف البنى المعرفيّة العميقة في تشكيل المعنى وتوجيه المتلقي، فالإمام (عليه السّلام) ينسج صفات المتقين داخل منظومة ذهنية متكاملة تُفعَّل أثناء التلقي، وهذا ما يضع الخطبة ضمن فضاء التحليل المعرفي – التداولي، حيث تتداخل بنية الخطاب مع بنية الإدراك، ويصبح الفهم ثمرة تفاعل بين النص والمخزون الذهني والقيمي للمخاطَب.

ينطلق هذا المبحث من فرضية أساسية تؤكّدها اللسانيات العرفانية أن اللغة المعرفية تسهّل إقامة الحجة وإبطال الشبهة، إذ إنَّ كل برهان يحتاج إلى صياغة لغوية منضبطة حتى يكون قابلاً للتداول العلمي (الصدر، 1981، ص. 88)، ومن هنا تبرز نظريتان مركزيتان سيُبنى عليهما التحليل:

المحور الاول: تفعيل الأطر الذهنية (Frames) لتحديد ملامح المتقي

تعد نظرية دلالة الأطر لـ (تشارلز فيلمور Charles Fillmore) واحدة من النظريات الخصبة التي انبثقت ضمن ما عرف في إطار النظرية العرفانية وتعتمد نظرية دلالة الأطر والفهم الموحد لدى (شارلز فيلمور) على منظومة مفهومية ومعرفية تحدد المسار الإدراكي الذي يؤدي إلى إدراك الدلالة المفهومية والمعرفية للمصطلحات وقد لخصها بأنها قبل كل شيء هي نظرية للمداخل المعجمية، فهي

تسعى بوسائلها إلى تحديد طبيعة المعلومات الموجودة في هذه المداخل وكيفية وجودها وسببه، وتعتمد دلالة الأطر في تحديد هذه المداخل المعجمية ورصد معانيها على أطر عامة تتجانس فيها مختلف النماذج المعرفية البشرية، هذه الأطر تخصص فهمًا منظمًا ومؤطرًا بصورة مثالية لمجال من مجالات التجربة، ((إذ تحاول رصد مجموع الأبنية المعنية المفهومية والمعرفية التي تحيط بهذه المداخل المعجمية؛ لأن هذه الأطر تسهم في تحديد دلالة المصطلحات وهي منظومته الذهنية التي ترتبط بدلالته الاصطلاحية وأبنيتها المعرفية وبهذا يمكن القول بأن الأطر عبارة عن أبنية مفهومية ومعرفية توجه طريقة الأفراد في إدراك الواقع)) (التركي، 2019، ص. 33)، كما إن الإطار الدلالي هو بنية معرفية مهمة لفهم كلمة عبر ارتباطها بكلمات أخرى (التركي، 2019، ص. 33)، إذ يحمل المكون اللغوي (المصطلح) مكونًا إدراكيًا خاصًا، ومكونًا اجتماعيًا ومكونًا تداوليًا تواصليًا (قداش، ويحي 2021، ص. 253).

وفي خطبة (اليقين)، تتجلى هذه الأطر في صور مثل إطار العبادة الليلية، إطار السلوك الاجتماعي، إطار الموقف من الدنيا، إطار الأخلاق العملية وهي جميعها طرق معرفية يبني من خلالها النص صورة للمتقي في ذهن السامع.

أولاً: إطار السلوك التعبدي: من الأداء الظاهر إلى التجربة الروحية العميقة

في سياق (خطبة المتقين)، يقدّم الإمام (عليه السلام) إطار السلوك التعبدي ليحوّل ممارسات العبادة الظاهرية إلى تجربة معرفية ووجدانية متكاملة، يستهلّ الإمام (عليه السلام) بناء صورة المتقين عبر استدعاء إطارٍ ذهنيّ راسخ في الوعي الديني (إطار قيام الليل)، فهذا الإطار معروف لدى المتلقي المسلم، لكن الإمام (عليه السلام) يحول الطقس التعبّدي التقليدي الى تجربة روحية متكاملة تتفاعل فيها الحواسّ مع الوجدان، والحركة مع الإدراك، فيتحول الليل إلى فضاء معرفيّ يختبر فيه المتقي معنى التقوى في أعلى مستوياتها.

يتجلى ذلك في قوله (عليه السلام): **(أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 133).

يمكن فهم هذا الوصف على مستويات متعددة، فعلى المستوى البصري والحركي، لا يكتفي الإمام (عليه السلام) بقول (يصلّون)، وإنّما يصوّرهم بـ (صافّون أقدامهم)، وهو تصوير يشي بالثبات والانضباط، ويجعل الحضور الجسدي للمتقي ملموسًا في الذهن، فالحركة المتزنة والمصطفة تدل على التهيؤ الكامل للعبادة، فتُحوّل الفعل إلى موقف متكامل يعكس الانضباط الداخلي والالتزام الروحي، ويجعل الجسد أداة لفهم وإدراك معنى العبادة.

على المستوى الصوتي، يُبرز النص التلاوة **(يتلونها ترتيلاً)**؛ فالترتيل يوحي بالتأني والتدبر، ويحوّل الصوت إلى تجربة إدراكية تنسجم مع التأمل الروحي، الصوت يصبح عنصرًا معرفيًا يُسهم في تنشيط المخزون الذهني للمتلقي، ويجعل التلاوة أداة للإحساس بالمعنى قبل إدراكه عقليًا.

أما على المستوى النفسي والوجداني، فالإمام (عليه السلام) يعرض أثر العبادة على الداخل **(يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ)**، فالقرآن أداة للتطهير النفسي والشفاء الروحي، إذ يُحرّك الوعي الداخلي ويولد تجربة وجدانية مباشرة، تجعل المتلقي يعيش أثر العبادة على مستوى الذات والعاطفة.

في البعد المعرفي، تُخلق مساحة ذهنية متخيلة عند قوله: **(وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ)**، إذ يتحوّل النصّ إلى تجربة حضور ذهني تتداخل فيها الآيات مع المخيلة، فيشعر المتلقي وكأن المشهد الروحي حاضر أمامه، فتندمج الفضاءات الذهنية في وعيه، ويصبح المعنى تجربة حية لا مجرد مفهوم نظري.

فضلاً عن ذلك، يبرز هذا الإطار كيف يحوّل الإمام (عليه السلام) الفعل الديني من مجرد أداء عبادي إلى تجربة معرفية متكاملة تشمل (الجسد، الصوت، الوجدان والوعي)، فينشأ عن ذلك نموذج إدراكي للمتقي يُمكن للسامع أن يتماهى معه، فيصبح الخطاب أداة فعّالة لبناء المعنى التشاركي وفهم التجربة الروحية في أبعادها المختلفة.

ثانيًا: تفعيل إطار السلوك الاجتماعي: من الأخلاق النظرية إلى الممارسة اليومية

بعد استعراض العلاقة الروحية للمتقين بالليل، ينتقل الخطاب في النهار ليصف المتقين في سياق حياتهم الاجتماعية، مستدعيًا بذلك إطار التعامل مع الناس، هذا الإطار يوفّر بنية معرفية تمكن المتلقي من تصور شخصية المتقي في أبعادها العملية، بعيدًا عن التجريد النظري، ويُظهِر كيف تتجسد القيم الأخلاقية في سلوك يومي ملموس، يتجلّى ذلك في قول الامام (عليه السلام): **(فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْمًا فِي لِينٍ... يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ... الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 148).

يُلاحظ في النص تكثيف الازدواجية التي تجسّد التوازن النفسي والاجتماعي؛ فالجملة **(حَزْمًا فِي لِينٍ)** و**(يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ)** تكسر الصورة النمطية للمتديّن الذي قد يُتصوَّر إما شديد الصرامة أو متساهل بشكل مطلق، هذا المزج يخلق نموذجًا أوليًا للمتقي كشخصية متوازنة قادرة على ضبط سلوكها وفق المواقف المختلفة، وهو ما يتطلب حكمة ومعرفة عميقة، ويؤكد بعدًا معرفيًا تداوليًا للخطاب حيث يربط بين النظرية الأخلاقية والتطبيق العملي.

كما يُبرز النص الفاعلية الإيجابية والسلبية للمتقي في المجتمع **(الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ)** يعكس توقع السلوك الإيجابي، بينما **(وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ)** يدل على غياب الفعل السلبي، أي أنه لا يضرّ الآخرين، هذه المعادلة البسيطة تشكّل تعريفًا شاملاً للأمان الاجتماعي الذي يوفره المتقي في محيطه، إذ إنه ليس نافعًا فقط، وإنّما يمتنع عن الضرر، وهو مستوى مثالي من الحضور الأخلاقي والاجتماعي.

ومن منظور التداولية العرفانية، يبيّن النص كيف يتحوّل المفهوم النظري للتقوى إلى إطار سلوكي، يربط بين النظرية الأخلاقية والممارسة اليومية، ويتيح للسامع تصور أثر التقوى على الفرد والمجتمع، فالإمام (عليه السلام) يصوّر التقوى سلوكًا متكاملاً يوازن بين الالتزام الديني، الحكمة في التعامل، والقدرة على التحكم بالنفس، والفاعلية الاجتماعية الإيجابية.

وهكذا، من خلال هذا الإطار، يُترجم الخطاب العرفاني المفهوم المجرد للتقوى إلى سلوك يومي ملموس، يصبح قابلاً للفهم والتطبيق من قبل المتلقي، ويعزز من وظيفة الخطبة كأداة لبناء معنى تشاركي، حيث يشارك السامع في تصور النموذج الأخلاقي للمتقي من خلال خبراته ومخزونه المعرفي والوجداني.

ثالثًا: إطار الموقف من الدنيا: من التقدير الإلهي إلى التفاهة الدنيوية

بعد أن استعرض الإمام (عليه السلام) سلوك المتقين في الليل والنهار، ينتقل الخطاب إلى إطار الموقف من الدنيا، وهو إطار ذهني يوضح تصوّر المتقي للعالم الخارجي وموقعه فيه، وفي هذا السياق، يعيد الإمام (عليه السلام) تشكيل وعي المتلقي تجاه القيم والمواقف الدنيوية، ويضعه أمام معيار معرفي عرفاني يميّز بين المقدمات الأساسية للوجود الإنساني وما هو دون ذلك من متاع دنيوي، يتجلى ذلك في قول الإمام (عليه السلام): **(عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132)، هذا الوصف يحمل عدة أبعاد:

أولاً: على مستوى المعيار المعرفي، يبرز الإمام (عليه السلام) أن المتقي ينظر إلى الدنيا بوعي متجذر بالحقائق العليا، فـ **(عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ)** يعني إدراك كيان الله وعظمته في الوعي الذاتي، وتثبيت المقاييس العليا للوجود في قلب المتلقي، بحيث تصبح القيم الأخلاقية والروحية المرجع الأساسي لتقييم كل شيء آخر.

ثانيًا: على مستوى المقارنة بين القيم العليا والدنيا، تشير عبارة **(فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ)** إلى عملية تصغير وإعادة ترتيب للعالم المادي والملذات الدنيوية، بحيث تُصبح ثانوية أمام العظمة الإلهية، هذا الترتيب الإدراكي يحوّل النظرة إلى الدنيا من مجرد غاية أو وسيلة إلى إطار إدراكي يعرف قيمتها الحقيقية بالنسبة للمتقي؛ ومما لاريب فيه أن من يشاهد هاتين الحالتين، يكون على قدمٍ عظيمةٍ من العبادة والخوف والرجاء (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 142).

ثالثًا: على مستوى البُعد التداولي العرفاني، يخلق هذا الإطار فضاءً ذهنيًا متكاملاً يسمح للمتلقي بإعادة تموضع نفسه أخلاقيًا وروحيًا، فالإمام (عليه السلام) يربط بين تصور الموقف من الخالق وتقييمه للوجود المادي، ليجعل من الخطاب أداة لتشكيل وعي أخلاقي متكامل، هذا يتيح للسامع المشاركة في بناء المعنى، فيستحضر في ذهنه نموذج المتقي الذي يوازن بين تقدير العظمة الإلهية والتقليل من قيمة الأمور الدنيوية، فيصبح الموقف من الدنيا ممارسة ذهنية ونفسية ملموسة تؤثر على سلوكه وقراراته اليومية.

من هذا المنظور، يصبح إطار الموقف من الدنيا امتدادًا طبيعيًا للأطر السابقة (الليل والنهار)، حيث يكمل بناء النموذج الشامل للمتقي في أبعاد الروح، والسلوك الاجتماعي، والوعي بالقيم العليا. فهو إطار يربط بين المعرفة، والوجدان، والممارسة الأخلاقية، ويجعل من الخطبة تجربة عرفانية متكاملة تُحوّل المفاهيم المجردة إلى وعي متفاعل داخل المتلقي.

المحور الثاني: الاستعارة المفهومية (Conceptual Metaphor) ودورها في تجسيد صورة المتقي

تعدّ نظريّة الاستعارة التصوريّة (المفاهيميّة) (Conceptual metaphor)، واحدة من النظريات اللسانيّات الإدراكيّة التي وضعها (جورج لايكوف)، و(مارك جونسون)، اللذين قدّما للتصوّر الاستعاري شكلاً مغايرًا لِما كان سائدًا في المفاهيم التراثية ، فالاستعارةُ

على وفق رؤيتهما ظاهرة ذهنيّة، تصوريّة تنشأ في الذهن، وللتجربة الانسانيّة، والواقع المعيش، والجسد أثرٌ في تشكّلها وإدراك معانيها، وتتمّ الاستعارة التصوريّة في الذهن عن طريق عرض المفاهيم، وتقابلها، ثم عملية الانتقاء، وتنتهي بعمليّة الإسقاط بين المجالات، وإدراك المقصد، وتحصيل المعنى، وتكوين مفهوم جديد يُضاف إلى المفاهيم القارّة (الصغير، 2020، ص. 36).

وتمثل الاستعارة أهم التجليات المعرفية للغة، وهي كثيرة التواتر في مختلف الخطابات وفي مختلف المواقف الثقافية اليومية؛ إذ تُسهم في توسيع المعنى وإثرائه استجابة لمتطلبات مواقف تواصلية معينة، لذا ((فإنّ الاستعارة في جوهرها ليست فقط مسألة ألفاظ و لكنها مسألة بناء مفهومي أيضًا)) (أوليفيرا، 2017 ، ص. 125)، إذ إنّها تمثل نمطًا تواصليًا خاصًا؛ لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية، وهي بهذا المفهوم تعتمد على مقومات أساسية في العملية الحجاجية كالمستمع والمتكلم والسياق، وتهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي، وذلك بحسب السياق ومقصد المتكلم ومقتضيات المقام، وهذا يؤدي إلى فعالية حجاجية أعمق (الموسوي، وآخرون ، 2023، ص. 2–3)، إذن فالاستعارة تسعى الى إشراك المتلقي وإعمال فكره في مجموعة من العلاقات تخلقها داخل السياق النظمي، فتتنقل به على جناح الوعي والإدراك وتحمله على الوقوف على أسرار تلك العلائق السياقية (الموسوي، وآخرون ، 2023، ص. 1).

وبذلك نرى أنّ الاستعارة متعلقة بانفتاح اللغة على الواقع الممكن مما يجعلها قادرة على الجمع بين أشياء لا تتطابق في الواقع، ولكنها تجد في إحالتها ومعناها في عوالم أخرى ممكنة (هبيل، 2017، ص. 109)، لذا كان الأسلوب الاستعاري من أقدر الأساليب التعبيرية وأقواها على توليد المعاني وتفريعها، وهو ما يعني تشكيل تصورات جديدة من خلال إعادة توزيع العلاقات بين أشياء العالم ومكوناته سواء في طبيعتها المادية أم طبيعتها المعنوية (بخوش، 2021، ص. 8).

وبناءً على ما تقدّم، يمكن القول إنّ الاستعارة في (خطبة المتقين) تنهض بدورٍ مزدوج فهي من جهةٍ أداةٌ معرفية تُيسّر معالجة المعنى عبر تحويل المفاهيم المجرّدة إلى صورٍ حسّية مألوفة، ومن جهةٍ أخرى وسيلةٌ لتوجيه التأويل والسلوك، إذ يعمل المتلقي ضمن إطار معرفي جديد يعيد تشكيل نظرته إلى العالم في ضوء النموذج الأخلاقي للمتقين، وفي ضوء ذلك، سنعالج الاستعارة المفاهيمية في (خطبة المتقين) وفق التقسيم الآتي:

أولاً: تصوير الجسد: التجسيد الإدراكي للقيمة الروحية

يعتمد الإمام عليّ (عليه السلام) في خطبة المتقين على منظومة من الاستعارات المفهومية المجسِّدة التي تُحوِّل القيم الروحية المجرّدة إلى صور جسمانية وحسية، فبدلاً من تقديم التقوى والخشوع والحياء بوصفها حالات ذهنية خالصة، تُطرح أمام المتلقي عبر تمثيلات جسدية تُجسّد معنى الفضيلة داخل إطار يمكن إدراكه مباشرة بالخبرة الحسية، هذا الأسلوب يقوم على مبدأ نظرية الجسدنة الإدراكية (Embodiment)، الذي يعدّ أحد الأسس المركزية في اللسانيات العرفانية حيث يُفهم المعنى الأخلاقي عبردراسة اللّغة من منظورها للابنية المفهومية – التصورية – والمعرفية الذهنية (قداش، ويحي 2021، ص. 250).

ويتجلى هذا النسق بوضوح في قوله (عليه السلام): **(قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ... مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 133).

في هذا المقطع، يعمل الخطاب على تحويل القيم الروحية إلى استعارة مفهومية كبرى يمكن فهمها من خلال: **القيمة الروحية = هيئة جسدية.**

فحزن القلب، ونحافة الجسد، وخفة الحاجة، وانحناء الأعضاء في السجود أوعية معرفية تستوعب فيها القيم الأخلاقية، وكل سمة بدنية تتحوّل إلى علامة على حالة باطنية:

- **(قلوبهم محزونة)** تجسد التواضع والوجل من الله.
- **(أجسادهم نحيفة)** تجسّد زهدهم في الدنيا وصبرهم في الطاعة.
- **(أنفسهم عفيفة)** تربط بين الطهارة الأخلاقية والطهارة السلوكية.
- **(هيئات السجود)** تعطي صورة حسية عن شدّة الخضوع لله (عزّ وجلّ).

وبذلك يتشكل لدى المتلقي مخطّطٌ معرفيٌّ مركّب يجمع بين العلاقة بالله، وحالة النفس، وهيئة الجسد، ليكوّن تصورًا موحدًا لماهية المتقي، هذا التكامل بين الداخلي والخارجي يجعل الفضائل الأخلاقية قابلة للتمثّل عبر خبرة تُعاش وتُحسّ، وهو ما تشير إليه اللسانيات العرفانية حين تربط بين الفهم والتجسد (Johnson, 1987, p. 38).

تداوليًا، تُسهم الاستعارات الجسدية في بناء هوية أخلاقية ثابتة؛ فالجمل الاسمية في الوصف مثل:) أَنْفُسُهُمْ **عَفِيفَةٌ**) تُشير إلى رُسوخ الصفات، وهكذا يتحوّل وصف الجسد إلى آلية إقناعية تدفع المتلقي لتمثّل النموذج الأخلاقي عبر معادلة تجمع بين الداخل والظاهر، وبين الفكرة وسلوكها المتجسد.

وبذلك تندمج المعاني الروحية مع تمثيلاتها الجسدية في بناء معرفيّ واحد، يجعل التقوى حالة تُرى وتُلمس وتُعاش، لا مجرد مبدأ نظري، وهذا هو جوهر الاستعارة المفهومية في الخطبة: تحويل التجربة الدينية إلى بنية إدراكية محسوسة قادرة على التأثير والتوجيه.

ثانيًا: استعارات المسار والحركة: المتقون في طريق معرفي – أخلاقي

تُفعّل (خطبة المتقين) أحد أهم أنماط الاستعارة المفهومية، وهي استعارة المسار، التي تقوم على تحويل التجربة الأخلاقية الداخلية إلى رحلة لها اتجاه وحركة ومحطات وفقًا لهذا النمط، يُقدَّم المتقي كإنسان يسلك طريقًا معرفيًا وروحيًا واضح المعالم، يُبرز الإمام عليّ (عليه السلام) ذلك من خلال صور لغوية دقيقة، مثل قوله: **(نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْلَا الأَجَلُ**

الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِم لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ) (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132).

في هذه الصّور اللغوية تتحوّل الحالات الوجدانية كالزهد، والخشية، واليقين إلى حركات يمكن تخيّلها؛ نزول النفس، واستقرارها، واندفاعها شوقًا، أو انكماشها خوفًا، وبهذا يتمّ تفعيل الاستعارة المفهومية الأساسية:

- **الحالة الأخلاقية = حركة على طريق**
- **التحوّل الروحي = انتقال**
- **اليقين = وصول أو اقتراب من الهدف**

هذا التحويل يسمح للمتلقي أن يتعامل مع التجربة الروحية بوصفها مسارًا يمكن تتبعه، لا كحالة باطنية معقدة؛ فالتقلّب بين البلاء والرخاء يصبح حركة لها معنى واتجاه، ويصبح الثبات الأخلاقي قدرة على السير في طريق مستقيم لا يتغير بظروف الحياة.

ومن منظور التداولية العرفانية، فان هذه الاستعارات تؤدي وظيفة توجيهية؛ فالإمام (عليه السلام) عندما يصوّر المتقي كأنّه يرى الثواب والعقاب رأي العين، فهو يقدّم للسامع نموذجًا عمليًا لكيفية اتخاذ القرار في المواقف اليومية: (من يسير في طريق واضح، يدرك أين يضع قدمه، ولماذا يتقدم أو يحجم).

وبذلك تُحوِّل الاستعارة المفهومية التجربة الأخلاقية من مفهوم مجرّد إلى نموذج معرفي يستطيع المتلقي أن يعيشه ويتخيله ويستحضره عند الفعل، فهي خريطة طريق ترسم للمتلقي شكل الحياة الأخلاقية التي يريد الإمام (عليه السلام) أن يوجّهه إليها.

ثالثًا: استعارات الرؤية: تمثيل اليقين الأخلاقي بصور بصرية

تعتمد خطبة (المتقين) على شبكة غنيّة من استعارات الرؤية التي تُحوِّل مفاهيم أخلاقية وروحية مجردة إلى صور بصرية يمكن للمتلقي أن يراها ويُدركها وكأنها حضورٌ حسيّ مباشر، ووفق نظرية الاستعارة المفهومية لدى (ليكوف وجونسون)، يقوم هذا النمط على تحويل (الإدراك المعنوي) إلى (رؤية حسية)، بحيث يصبح الفهم ذاته مبنيًا على بنية معرفية مصدرها المجال البصري. وبمعنى آخر تظهر فعاليتها في قدرتها على التجسيد الذي لا يمكن للعقل البشري أن يستغني عنه، حيث تقوم الاستعارة بتشكيل المجالات الذهنية من خلال التعامل معها وكأنها ظواهر مادية، من خلال نقل بنية الظواهر المادية إلى الظواهر المجردة (الحسن، وخضير،2024، ص. 216).

يتجلّى هذا بوضوح في قول الإمام عليّ (عليه السلام): **(عظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ)، و(وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 133).

في هذه التراكيب يعمل الخطاب على تفعيل استعارة مفهومية مركزية هي: **(الإدراك الأخلاقي رؤيةٌ بصريّة)**، فالعلاقة مع الله، واليقين بالآخرة، وتقدير القيم كلّها تُقدَّم داخل إطار بصري يجعل المجرّدات مرئية، وهكذا تنتقل التقوى من كونها حالة داخلية إلى صورة تُرى، وبذلك يصبح اليقين نفسه فعلًا بصريًا.

تعمل الجملة الأولى على بناء علاقة سببية بين عظمة الخالق في القلب وحجم الأشياء في العين، فكلّما ازدادت القيم الروحية حضورًا في الداخل، صغرت قيم الدنيا في مجال الرؤية الإدراكية، فهي مفارقة بصرية تُعيد ترتيب سلّم الأولويات داخل الوعي.

أمّا قول الإمام (عليه السلام): **(فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 133)، فيفعّل استعارة مفهومية أخرى: **(الغيب منظورٌ)**، وفق هذا الإطار يتحول الثواب والعقاب إلى مشاهد يراها المتقي أمامه، ولهذا ينعكس اليقين الأخروي مباشرة في السلوك العملي، وبهذا يحقّق الخطاب هدفه التداولي في توجيه المتلقي نحو الأخلاق عبر تحويل ما لا يُرى إلى خبرة شبه محسوسة.

تبلغ هذه البنية ذروتها في العبارة: **(وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ)**، فالمجاز البصري هنا يُنشئ فضاءً معرفيًا مركّبًا تتداخل فيه الحقيقة بالغيب، ويتحوّل الشوق إلى الجنة إلى حركة نظرية تأتي من داخل النفس نحو مشهد مقدّر أمام العين، وبذلك نكون أمام آلية عرفانية تجعل التطلّع حركة رؤية داخلية لا تقلّ واقعية عن النظر الخارجي.

ومن منظور التداولية العرفانية، يكتسب هذا النوع من الاستعارات قوته من كونه يُشعِر المتلقي أنّه يعيش داخل هذا المشهد؛ لذلك يصبح اليقين الأخلاقي إحساسًا بصريًا موجّهًا للسلوك، وهو ما يرفع قدرة الخطاب على الإقناع والتأثير.

على المستوى البنيوي، تُسهم الجمل الاسمية في تثبيت هذا الإدراك بوصفه حالة دائمة، لا انفعالاً عابرًا، كما تعمل الضمائر الجماعية على دمج المتلقي ضمن إطار الرؤية نفسها، ليصبح جزءًا من الجماعة التي تتقاسم هذا النمط من الإدراك الأخلاقي، وبذلك تتكامل استعارات الرؤية مع الاستعارات الجسدية والمسارية والزمنية في الخطبة لتشكّل شبكة تصويرية معرفية تجعل تجربة التقوى رحلة تُرى وتُعاش في آنٍ واحدٍ، وتحوّل العلاقة مع الآخرة إلى حضور بصري مستمرّ يُعيد تشكيل خيارات المسلم اليومية.

رابعًا: استعارات السمع/ الصوت: الصوت كآلية لتشكيل الوعي الديني

تقدّم خطبة (المتقين) نموذجًا غنيًا لاستعارات السمع والصوت، حيث يتحوّل السمع من حاسةٍ جسديةٍ إلى آلية معرفية فاعلة تُسهم في بناء الوعي الأخلاقي وترسيخ التجربة الروحية، فالإمام عليّ (عليه السلام) يوظّف فعل السماع كمصدر لإحداث تغيير داخلي يمسّ القلب والسلوك معًا؛ ويتضح هذا التوجّه بوضوح في قول الامام (عليه السلام): **(وَوَقَّفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ....وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132).

في هذه التراكيب، يتجاوز السمع معناه الحسي ليصبح قناة لتكثيف المعنى الأخلاقي والمعرفي، حيث يتصل الإدراك السمعي مباشرة بالقلب، فينتج عنه وعي حيّ بالمسؤولية الروحية والالتزام الفعلي، فمن منظور الاستعارة المفهومية، يمكن تفسير هذه البنية

عبر مجموعة من الخرائط الاستعارية التي تنقل المعنى من المجال الحسي (الصوت/ السمع) إلى مجالات معرفية وأخلاقية وروحية أكثر تجريدًا، ويمكن تحليلها وفق ثلاثة مستويات رئيسة:

1- الصوت بوصفه قوّة إدراكية ضاغطة

حين يُقدَّم (زفير جهنم) و(شهيقها) كأصوات محسوسة تصل إلى (الآذان)، إذ يتحول الوعيد الأخروي من مجرد فكرة إلى خبرة حسّية يمكن تخيّلها بوضوح، هذه الصورة تُعيد صياغة العلاقة بين الغيب والواقع؛ فالصوت يقترب من المتلقي حتى يكاد يلامسه.

وبذلك يصبح **العقاب الأخروي = صوتًا مسموعًا قريبًا**، وهي استعارة تُكثّف الإحساس بالخطر الأخلاقي وتمنح التجربة الوعظية قوة تأثير أكبر.

2- السمع كأداة للوعي الداخلي

في قوله (عليه السلام): **(أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ)** ينتقل الخطاب من السمع الحسي إلى (السمع القلبي)، وهي استعارة مفهومية؛ إذ تقوم على خريطة: **(الفهم = استقبال صوت داخلي)** وهنا يتحوّل الصوت إلى وسيط معرفي، إذ يكون الهدف من الآيات هو إدراك دلالاتها وتفعيل أثرها في الضمير؛ فهي عملية إعادة تعريف للسمع: **السمع الجسدي ← السمع الوجداني ← الوعي الأخلاقي**، وبذلك يصبح الاستماع فعلًا معرفيًا موجّهًا لا مجرّد إدراك صوتي.

وبذلك، تتحول استعارات السمع والصوت إلى شبكة معرفية متكاملة تجمع بين الإدراك الحسي والوعي الأخلاقي، وتقدّم نموذجًا يظهر فيه الصوت بوصفه منبعًا للمعرفة ومحركًا للسلوك وجسرًا يصل بين الغيب والشاهد.

المبحث الثالث: أفعال الكلام ومقاصد الخطابة الحجاجية في خطبة المتقين

وتُعدّ نظرية الأفعال الكلامية (Speech Acts) إحدى النظريات الأساسية في اللسانيات التداولية (دومنيك، 2008، ص. 7)، بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة (أوكسفورد) وهم : (أوستين، وسيرل ، وغرايس) فانصبت اهتماماتهم حول دراسة استعمال اللغة، وخاصة الخطاب مع التركيز على عنصر التداول فيه والقصدية والأهداف، وطريقة استخدام اللغة، وكيفية التعامل معها بقواعد التخاطب، ومبادئ التعاون الحواري، ومنطق التأدب(نجوم، 2017، ص. 102)، ومن ثم فإنّ فحوى الفعل الكلامي ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويُعدّ نشاطًا نحويًا يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغارض إنجازية وغايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقي، وعليه، فهو فعل يطمح أن يكون فعلاً تأثيرًيا في المخاطب، لإنجاز شيء ما (صحراوي، 2008، ص. 30).

وتُعد دراسة أفعال الكلام في خطبة المتقين للإمام عليّ (عليه السّلام)، من أبرز المسارات البحثية التي تجمع بين التحليل البلاغي، التداولي، والعرفاني، فالأفعال الكلامية هي أفعال إنشائية لها قدرة على خلق الحقائق وإحداث التغيير في الوعي والسّلوك لدى المتلقين، بما يتناسب مع سلطة المتحدث الدينية والأخلاقية.

يهدف هذا المبحث إلى الكشف عن آليات الخطاب الحِجاجي في خطبة المتقين، عبر تحليل توظيف الإمام عليّ (عليه السلام) لأنماط الأفعال الكلامية المختلفة، وفق تصنيف (جون سيرل)، ولا سيّما التقريرية، والتوجيهية، والإلزامية، والتعبيرية، والإعلانية (يحي، 2017، ص. 134)، بما يبيّن دورها في بناء خطاب أخلاقي وروحي متكامل يُعبر عن القيم العليا للمتقين.

وسنتناول هذه الأفعال الكلامية في (خطبة المتقين)، مع رصد وظائفها الحجاجية في الخطبة، والكشف عن العلاقة بين الصياغة اللغوية الدقيقة والمقصد الأخلاقي الذي يسعى الإمام لتحقيقه في المتقين.

أولاً: الأفعال التقريرية

يتبدّى هذا البعد في قول الإمام علي (عليه السّلام): **(نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ، عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ)، (صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132)، في هذه المواضع تتجلّى الأفعال التقريرية **(نَزَلَت، عَظُم، صَبَرُوا)** بوصفها أدوات لبناء الوعي الديني والمعرفي، فهي تُثبت أنماطًا معرفية ووجدانية تمثّل جوهر التجربة الإيمانية للمتقين، فالمتكلم يؤسّس من خلالها وقائع إدراكية تَستقر في وعي السامع بوصفها حقائق عليا، تُحوِّل المجرد الغيبي إلى مشهد محسوس.

عرفانيًا، تتحوّل هذه التقريرات إلى تنظّم الإدراك وتوجّه تفسير العالم، إذ تُبنى العلاقات بين مفاهيم مثل: (الصبر، والثواب، والبلاء، والراحة)، داخل شبكة مفاهيمية واحدة تُعيد ترتيب التجربة الأخلاقية للإنسان، وبذلك يكون الفعل التقريري فعلاً حجاجيًا يهدف إلى إقناع المتلقي بمشروعية السلوك القيمي الذي يصفه الإمام، فحين يقول (عليه السلام): **(يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 149)، تتخذ الأفعال (يَعْتَرِفُ)، (يَدْخُلُ)، (يَخْرُجُ) وظيفةً إثباتيةً معرفيةً تُقرّ حقيقة وجودية تُعرض بوصفها تقريرًا عن نظام قيمي متحقّق في سلوك المتقين، وهنا يكون القول قد أنجز فعلاً إدراكيًا مزدوجًا، فهو من جهة يثبّت حقيقة معرفية، ومن جهة أخرى يُوجّه الذهن إلى تبنّيها بوصفها نموذجًا للسلوك الإنساني الكامل.

وعلى المستوى المعرفي، ترسم هذه الأفعال خرائط ذهنية تُسهم في انتقال السامع من مستوى الفهم إلى مستوى التمثّل العملي، حيث يُعاد بناء العلاقة بين الحق والباطل في وعيه من خلال مقابلةٍ ثنائية تُنشّط إطارًا معرفيًا يقوم على التضاد القيمي، ومن ثمّ تُحدث اللغة فعلًا إنجازيًا يُثبّت في ذهن المتلقي السلوك الأخلاقي.

ثانيًا: الأفعال التوجيهية

يتجلّى هذا النمط بوضوح في قول الإمام (عليه السلام): **(اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132)، يصدر الإمام هنا فعلين توجيهيين مركزيين هما (اتقِ) و(أحسن)، وهما من الأفعال الإنجازية التي تستهدف إحداث أثر مباشر في السلوك الإدراكي والعملي للسامع (همّام)، فالأمر هنا يصدر من موقع السلطة المعرفية

والأخلاقية العليا التي تمتلك حقّ التوجيه وشرعيته، ومن ثم فإن فعل القول في هذا الموضع يُنتج قوّة إلزامية، تجعل المخاطب في موقف استجابة معرفية وأخلاقية في آنٍ واحد.

تداوليًا، تندرج هذه الأفعال ضمن ما يسميه (سيرل) بالأفعال التوجيهية التي يُراد بها حمل المخاطب على أداء فعلٍ قادم للمستمع يعتمد معنى التوجيهات على حقيقة ان المتحدث يحاول توجيه المستمع واجباره الى القيام باشياء، كالأمر، والنهي، والنصيحة، والدعاء، والتحذير (كيذقاني، وحقيقي، 2021، ص. 92)، غير أنّ ما يمنحها في الخطبة قوة إنجازية مضاعفة هو اندراجها ضمن نسقٍ حجاجيّ متكامل، إذ لا يكتفي الإمام بالأمر، بل يعلّله بقرينة تضمن الإقناع وتثبّت المشروعية التداولية للأمر: **(فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)**، فالفعل اللغوي يُمارس قوته من البنية الحجاجية التي تربط السلوك الإنساني بالجزاء الإلهي، ومن ثمّ يتحوّل الخطاب من مجرّد توجيه إلى منظومة تداولية معرفية تتكامل فيها الدعوة، والتعليل، والغاية.

يبلغ الفعل التوجيهي في خطبة المتقين ذروته في خاتمتها حين يتحوّل الخطاب من التوصيف المعرفي إلى التحذير الوجداني المباشر، في لحظة انفعالية مشحونة تجمع بين الموقف البلاغي والعرفاني، ففي نهاية الخطبة، وبعد أن صُعق همّام من شدّة التأثير والوجد بالخطاب، وهذا ماكان يخاف منه أمير المؤمنين (عليه السلام) على همّام (القبانجي، 2011، ص. 116)، **(أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ.. ثُمَّ قَالَ: هكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ البَالِغَةُ بِأَهْلِهَا)**، ولذلك وقع التحوّل التداولي الدقيق في قول الإمام (عليه السلام) حينما قال له قائل معترضًا:**(فما بالك يا أمير المؤمنين!)**، فكان جواب الإمام (عليه السلام) لهذا السائل: **(وَيْحَكَ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لا يَعْدُوهُ، وَسَبَبًا لا يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلًا لا تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 149).

تتجلّى هنا بنيتان توجيهيتان مكثفتان هما: (ويحك) و(فمهلاً)، وهما تؤديان وظيفتين إنجازيتين متكاملتين ضمن الحقل التداولي العرفاني للخطاب، فـ(ويحك) هي فعل كلامي توجيهي ذو قوة إنجازية عالية، ينطوي على التحذير والشفقة في آنٍ واحد، والقول (فمهلًا) يتجاوز ظاهره الزمني إلى فعلٍ توجيهي يرمي إلى كبح السلوك وإعادة ضبط الموقف الإدراكي للمخاطَب.

وإذا ما نظرنا إلى البنية الحجاجية الكامنة في القول، نلحظ أنّ الإمام لا يكتفي بتوجيه النهي لهذا السائل **(فَمَهْلًا لا تَعُدْ لِمِثْلِهَا)**؛ وإنّما يسنده بحجة معرفية تداولية عميقة: **(فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ)**، هذه الجملة تمثل الركيزة الحجاجية التي تمنح الفعل التوجيهي مشروعيته وتضاعف قوته الإنجازية، إذ تعيد التأويل إلى دائرة العرفان والتصوّر الديني، فالإمام لا يوبّخ المتحدث، وإنما يُفسّر مصدر الانفعال، فيحوّل اللوم إلى تحليلٍ معرفيٍ يحرّر السامع من الإثم، ويوجهه نحو وعيٍ أرقى بحدود الإنسان وأقدار الله.

ثالثًا: الأفعال الإلزامية

يتجلّى فعل الكلام الإلزامي في قوله (عليه السلام): **(صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 133)، من خلال الفعل (صبروا) الذي يعد فعلاً التزاميّا متحققا يعبّر عن إرادة معرفية وقرارٍ ذاتيّ بالمواجهة والمقاومة، فالصبر فعل وجوديّ ينهض على الوعي بالمآل والغائية الأخروية، ما يجعله تجسيدًا حجاجيًا للفعل الإيماني الموجَّه إلى المتلقي ليحاكيه ويقتدي به.

أما عرفانيًا، فيُعاد بناء الزمن داخل النسق الإدراكي للخطاب، من خلال المقابلة بين (أيامًا قصيرة) و(راحة طويلة)، هذه الثنائية الزمنية تمثل تحويلاً إدراكيًا من مبدأ الزمن الدنيوي المحدود إلى أفقٍ أخرويّ ممتد، ما يجعل الصبر عملية معرفية تعيد تشكيل تصور الإنسان للزمن والجزاء، فالمتلقي يتلقّى المعنى على مستوى البنية المفهومية التي تربط (التعب) بـ(الراحة)، و(العمل) بـ(الثواب)، وبهذا، يغدو الفعل الإلزامي شبكةً دلالية تبني المنظور الأخلاقي للخطاب.

رابعًا: الأفعال التعبيرية

إنّ الأفعال التعبيرية في خطبة المتقين تمثل البعد الوجداني الأعمق في الخطاب العلوي، فهي الأفعال التي تترجم التوتر بين الإدراك المعرفي والشعور الديني، وتحوّل الانفعال إلى أداة تواصلٍ معرفيّ تُبنى عليها شبكة القيم الروحية والأخلاقية، ويتجلّى ذلك في قول الامام علي (عليه السلام): **(اللَّهُمَّ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لا يَعْلَمُونَ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 133) يؤدي الإمام فعلًا تعبيريًا مكتمل البنية التداولية، فهو يُفصح عن انفعالٍ وجدانيّ معرفيّ يجمع بين التواضع والخشية والاعتراف بالقصور أمام الكمال الإلهي.

هذا القول يصدر من موقع الإنسان الكامل الذي يُظهر فناءه أمام الله، فيعيد ضبط العلاقة التواصلية داخل مثلث **(المتكلم ← السامع ← الله)**، ومن ثم فان الخطاب التعبيري يُعيد صياغة الوعي الأخلاقي للسامع، ومن ثم يحدث تأثيرًا وجدانيًا لدى المخاطب، وهو جوهر الفعل التعبيري في المنظور التداولي.

خامسا: الأفعال الإعلانية

يتجلى ذلك في قول الإمام علي (عليه السلام) في قوله:**(فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ)** (ابن أبي الحديد، 2005، ج 10، ص. 132)، الذي يعد نموذجًا متكاملًا للفعل الإعلاني بالمعنى التداولي العرفاني؛ إذ إنّ القول يُنشئ نظامًا قيميًا جديدًا يعلن فيه الإمام (عليه السلام) هوية (المتقي) بوصفها هويةً معيارية تتجاوز الفرد إلى الجماعة، والظاهر إلى الباطن، فالفعل الإعلاني هنا يُحوّل الجملة الخبرية إلى أداة لتأسيس حقيقة اجتماعية وأخلاقية، قوامها أن المتقين هم أهل الفضائل، أي أنهم المعيار الذي تُقاس عليه السلوكيات، والمرجعية التي يُعاد من خلالها ترتيب مدارات القيم في الوعي الجمعي، فالامام (عليه السلام) حين يعلن أن المتقين (هم أهل الفضائل)، فإن هذا الإعلان يوجِد في أذهان السامعين واقعًا قيميًا جديدًا، يصبح فيه المتقي النموذج الأعلى للإنسان الكامل، ومن ثمّ يتحول القول إلى إعلان معياريّ يوجّه المجتمع نحو تمثّل هذا النموذج، ومن ثم يجعل من (التقوى) بنيةً ذهنيةً تتداخل فيها المعرفة والإيمان والسلوك، فكل مكوّن في الجملة (منطقهم الصواب)، (ملبسهم الاقتصاد)، (مشيهم التواضع) يمثل تجسيدًا حسّيًا لقيمة ذهنية عليا، هي الاتساق بين الوعي والعمل، وبهذا يَغدو الإعلان عن فضائلهم إعادةَ بناءٍ للمعرفة الأخلاقية داخل الذهن المتلقي، حيث تنتقل القيم من مستوى المفهوم المجرد إلى مستوى الصورة الإدراكية المتعيّنة.

وهكذا، يتضح من التحليل التداولي العرفاني لأفعال الكلام في خطبة المتقين أن الأفعال الكلامية تشكل الذروة في بناء المرجعية القيمية والمعرفية داخل الخطاب، فهي تؤسس للواقع القيمي الذي يحدد هوية المتقين ومقامهم الأخلاقي والروحي.

نتائج البحث

تكشف الدراسة التداولية العرفانية لخطبة (المتقين) عن بنية لغوية معقّدة تعمل في مستويات متداخلة؛ معرفية، تداولية، ودلالية، وقد أسهم التحليل في رسم صورة متكاملة لطريقة الإمام عليّ (عليه السلام) في بناء خطاب يحرّك وعي المتلقي، ويوجّه سلوكه، ويعيد تشكيل نظرته إلى العالم من خلال اللغة، ويمكن تلخيص أبرز النتائج على النحو الآتي:

1- أظهرت الدراسة أنّ الخطاب يبدأ بتثبيت مفهوم التقوى بوصفه بؤرة معرفية تنظّم جميع الأفكار اللاحقة، فالإمام(عليه السلام) يربط مفهوم التقوى بسياقات حياتية وسلوكية تستحضر لدى المتلقي خبرات دينية وأخلاقية متجذرة، وهذا الاستدعاء يعمل كـ (مفتاح ذهني) يضبط اتجاه القراءة ويؤطّر عملية الفهم منذ اللحظة الأولى.

2- اعتمد الإمام (عليه السلام) في بناء خطابه على قيم مشتركة بينه وبين المتلقي، من قبيل: الخشية، الإحسان، الصدق، ومراقبة الله (عزّ وجلّ)، هذه القيم تأتي ضمن بنية لغوية تستدعي ذاكرة المتلقي الدينية والأخلاقية لتصبح جزءًا من العملية التداولية، وهكذا تتحول القيم من معطيات معيارية إلى أدوات تفكير وإدراك.

3- تبيّن أنّ الخطاب يقوم على شراكة تأويلية بين المتكلم والمخاطب، فالإمام (عليه السلام) يفتح مسارات قراءة تدعو السامع إلى إكمال الصورة ذهنيًا، ومع كل انتقال في الخطاب، يزداد حضور المتلقي في عملية البناء الدلالي، هذه الخاصية تجعل الخطبة نموذجًا عاليًا للخطاب التفاعلي الذي تقوم فيه اللغة بدور أداة لتنشيط الذهن لا مجرد قناة لنقل المعلومات.

4- بيّن التحليل أنّ التناص يُستخدم بوصفه وسيلة لتوجيه السلوك عبر إعادة تفعيل الآيات في سياق عملي، فالامام (عليه السلام) يوظف الآية كأداة توجيهية تحرك الإدراك الأخلاقي لدى المتلقي وتدفعه إلى اتخاذ موقف عملي من العالم.

5- خلصت الدراسة إلى أن الإمام (عليه السلام) يبني خطبته على مجموعة من الأطر الذهنية التي تنظّم المعنى وتسهّل على المتلقي قراءة السلوك الأخلاقي للمتقين، فمن خلال إطارَي (العبادة الواعية) و(الزهد العملي)، يُقدَّم المتقون بوصفهم نموذجًا معرفيًا لا مجرد وصف أخلاقي، هذه الأطر تعمل كمخططات تفسيرية تسمح للمتلقي بفهم النص وربطه بخبراته الواقعية.

6- أظهر التحليل أن الاستعارات المفهومية تُستخدم لبناء صورة إدراكية متكاملة للمتقين؛ مثل: التقوى حصن، القلب مرآة، الدنيا طريق، العمل زاد، هذه الاستعارات تعمل كآليات تفكير تنقل المفاهيم المجرّدة إلى صيغ محسوسة تمكّن المتلقي من تمثّلها ذهنيًا، وبذلك تصبح الاستعارة أداة مركزية في تشكيل المعنى العميق للخطبة.

7- تبين أنّ الأفعال الكلامية في خطبة المتقين تشكل الذروة في بناء المرجعية القيمية والمعرفية داخل الخطاب، فهي تؤسس للواقع القيمي الذي يحدد هوية المتقين ومقامهم الأخلاقي والروحي.

وبذلك تؤكد هذه الدراسة أنّ المقاربة التداولية العرفانية تفتح أفقًا تحليليًا جديدًا لخطبة المتقين، إذ تكشف عن البنية الإدراكية العميقة للخطاب العلوي، وتبرز قدرته على تحويل اللغة إلى قوة مُنظِّمة للمعنى والسلوك، بما يضيف بعدًا علميًا نوعيًا إلى الدراسات اللغوية للخطاب الديني التراثي.

المصادر والمراجع:

1. **القرآن الكريم**
2. إبرير، بشير (2004)، ***من لسانيات الجملة إلى علم النص***، مجلة الموقف الأدبي: 1-4.https://asjp.cerist.dz/en/article/48614
3. ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد، (2005)، ***شرح نهج البلاغة*** (ط1)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، إيران، قم المقدسة، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.
4. أوليفيرا، إزابيل، (2017)، ***الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظر عرفانية***، مجلة فصول، مجلد 25(4)، العدد 100. https://asjp.cerist.dz/en/article/198214
5. باديس، نرجس، (2010)، ***المشيرات المقامية في اللغة العربية***، مركز النشر الجامعي.
6. بخوش، كمال، (2021). ***اللسانيات المعرفية: عرض مفهومي للقضايا المفتاحية***، مجلة ألف، مجلد 3 عدد (8): 1- 13. https://asjp.cerist.dz/en/article/168572
7. بلانشيه، فيليب، (2007)، ***التداولية من أوستن إلى غوفمان***، ترجمة: صابر الحباشة، اللاذقية، دار الحوار.
8. بودرع، عبد الرحمن، (2016)، ***في اللسانيات واللغة العربية: قضايا ونماذج***، دار كنوز المعرفة العلمية.
9. بوطيش، زينب، (2022)، ***نظرية الفضاءات الذهنية في ضوء اللسانيات العرفانية***، مجلة أفانين خطابية، مجلد 2، عدد (1): 211-220.https://asjp.cerist.dz/en/article/196926
10. التركي، إبراهيم بن منصور، (2019)، ***دراسات في البلاغة الإدراكية*** (ط1)، نادي القصيم الأدبي.
11. الجراح، عامر، (2019)، ***الإحالة التداولية عند البلاغيين والنقاد العرب***، مجلة المقري للدراسات النظرية والتطبيقية، 3مجلد، عدد (5): 187 201.https://asjp.cerist.dz/en/article/105266
12. الحاج، ذهبية حمو، (2015)، ***مدخل إلى التداولية المعرفية***، مجلة جامعة الكوفة، مجلد 9 عدد (1): 103- 122.

https://journal.uokufa.edu.iq/index.php/Kufa_Review/article/view/4447

13. الحسن، علي حاتم، وميسم صباح خضير، (2024)، ***القراءة الإدراكية للبلاغة العربية قراءة نقدية***، مجلة التراث العلمي العربي، مجلد 21، عدد 2: 211- 230).https://jrashc.uobaghdad.edu.iq/index.php/jrashc/article/view/1200/1046
14. الحلوة، نوال بنت إبراهيم، (د.ت)، ***في اللسانيات العرفانية: مقاربة في الاستعارة المفهومية***، مطبوعات جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
15. الذويبي، لطفي، (2016)، ***قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية***، مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة عدد (3) ديسمبر: 11-27.
16. ربول، آن، وموشلر، جاك، (2003)، ***التداولية اليوم: علم جديد في التواصل***، ط1، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر.
17. ستوكويل، بيتر (2017)، ***الأسلوبية العرفانية***، مجلة فصول، مجلد 25، العدد (100): 106- 122.

https://search.mandumah.com/Record/892875

18. سلون، رامان، (1996). ***النظرية الأدبية المعاصرة***، ط1، ترجمة: سعيد الغانمي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ دار الفارس.

19. شعابث، عادل عبد المنعم، وتراث عباس، (2014)، ***تناص الشكل في فن ما بعد الحداثة***، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، عدد (15) آذار: 584- 604. https://becj-iq.org/view.php?id=634

20. الصدر، محمد باقر، (1981)، ***الأسس المنطقية للاستقراء***، ط3، بيروت، دار التعارف.

21. الصغير، محمد حسين (2020)، ***التعبير بالاستعارة التصورية عن التقابلات الوجدانية في القرآن الكريم***، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد (13) يونيو: 36- 52.

22. عبد، ورود، (2016)، ***الرسائل والوصايا في نهج البلاغة: دراسة في ضوء علم لغة النص***، أطروحة دكتوراه، جامعة القادسية/ كلية الآداب.

23. عفيفي، أحمد، (2010). ***نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي***، ط1، مصر، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

24. عماري، عز الدين، وبوجلال، ربيع، (2019)، ***مفاهيم لسانية عرفانية***، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، م 3 ،عدد خاص: 62- 75.

25. الفحام، عباس، وزينب ثجيل (2022)، ***السياسة اللغوية في نهج البلاغة دراسة في ضوء اللسانيات العرفانية***، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، مجلد 18، عدد1. DOI: https://doi.org/10.31185/.Vol18.Iss50.172

26. قداش، لامية، ويحيى، صلاح الدين، (2021)، ***اللسانيات العرفانية والمحتوى الإجرائي لنظرية دلالة الأطر في المداخل المعجمية***، مجلة دراسات معاصرة، مخبر الدراسات النقدية والأدبية، الجزائر، مجلد 5 عدد (2): 249- 264.

27. كيذقاني، سيد مهدي، مسعود حقيقي، (2021)، ***دراسة خطبة 27 و34 من نهج البلاغة على أساس نظرية أفعال الكلامية لجون سيرل***، مجلة دراسات حديثة في نهج البلاغة، المجلد 5، العدد(9): 89-102.

28. قريرة، توفيق، (2017)، ***الشعرية العرفانية: مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعرية قديمة وحديثة***، ط1، صفاقس، دار نهى.

29. لانقاكر، رونالد، (2018)، ***مدخل في النحو العرفني***، ترجمة: الأزهر الزناد وآخرون، تونس، المركز الوطني للترجمة.

30. مانغونو، دومنيك، (2008)، ***المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب***، ط1.ترجمة محمد يحياتن، الجزائر،الدار العربيّة للعلوم.

31. المطيري، مها، (2025)، ***الدلالة في اللسانيات العرفانية: منوال لانقاكر أنموذجا دراسة لسانية تحليلية***، مصر، المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية، مجلد 9، عدد (36): 463- 526.

32. مفتاح، محمد، (1992)، ***تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص***، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي.

33. مفتاح، محمد، (2016)، ***مجهول البيان***، ط1، القاهرة، مصر، رؤية للنشر والتوزيع.

34. المتوكل، أحمد، (1995)، ***قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية***، ط1، الرباط، دار الأمان.

35. الموسوي، صادق كاظم، وآخرون (2023)، ***البنية الحجاجية للأستعارة في تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب للمشهدي***، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، مجلد 19، عدد 1. DOI: https://doi.org/10.31185/.Vol19.Iss54.471

36. نجوم، يوسف، (2017)، ***تداولية أفعال الكلام في النص الادبي خطبة الامام علي(ع) انموذجا***، مجلة حوليات الاداب واللغات، كلية الاداب، جامعة محمد بوضياف – المسيلة- مجلد 1، عدد (9) نوفمبر: 100-115.

37. هبيّل، يسر، (2017)، ***الإحالة بين اللغة والخطاب***، تونس، الدار التونسية للكتاب.

38. الهلالي، خليل عبد السادة، (2020)، ***خطبة المتقين للإمام علي (ع): الفكر والسلوك***، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الاشرف، مجلد 57، عدد (1): 13- 22.

39. يحي، صلاح الدين، (2020). ***التداولية العرفانية قبل التداولية: مدخل إلى التأسيس العرفاني***، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 9، عدد (4): 57- 81. https://asjp.cerist.dz/en/article/133936

40. يحي، هلال، (2017)، ***نظرية أفعال الكلام في التداولية المعاصرة:(جون روجر سيرل) أنموذجًا***، مجلة ابعاد، العدد (4): 129- 138.

41. Bussmann, H (1996), ***Routledge Dictionary of Language and Linguistics,*** Routledge.

42. Lakoff, G, & Johnson, M, (2003), ***Metaphors We Live By***, University of Chicago Press.

Sources and References:

1. **The Holy Quran**
2. Ibrir, Bashir (2004), ***From Sentence Linguistics to Text Linguistics***, Al-Mawqif Al-Adabi Journal: 1-4. https://asjp.cerist.dz/en/article/48614
3. Ibn Abi Al-Hadid, Izz Al-Din Abdul Hamid (2005), ***Sharh Nahj Al-Balaghah (1st ed.),*** edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Iran, Qom, Ismailian Foundation for Printing, Publishing and Distribution.
4. Oliveira, Isabel (2017), ***Idiomatic Metaphor from a Mystical Perspective***, Fusul Journal, Vol. 25(4), No. 100. https://asjp.cerist.dz/en/article/198214
5. Badis, Narjis (2010), ***Contextual Indicators in the Arabic Language***, University Publishing Center.
6. Bakhouch, Kamal (2021). ***Cognitive Linguistics: A Conceptual Presentation of Key Issues***, Alif Journal, Volume 3, Issue (8): 1-13. https://asjp.cerist.dz/en/article/168572
7. Blanchet, Philippe, (2007), ***Pragmatics from Austin to Goffman***, translated by Saber Al-Habasha, Latakia, Dar Al-Hiwar.
8. Boudraa, Abdel Rahman, (2016), ***On Linguistics and the Arabic Language: Issues and Models,*** Dar Kunooz Al-Ma'rifa Al-Ilmiya.
9. Boutich, Zeinab, (2022), ***The Theory of Mental Spaces in Light of Cognitive Linguistics***, Afanin Khitabiyya Journal, Volume 2, Issue (1): 211-220. https://asjp.cerist.dz/en/article/196926
10. Al-Turki, Ibrahim bin Mansour, (2019), ***Studies in Cognitive Rhetoric*** (1st ed.), Al-Qassim Literary Club.
11. Al-Jarrah, Amer, (2019), ***Pragmatic Reference among Arab Rhetoricians and Critics***, Al-Muqri Journal for Theoretical and Applied Studies, Volume 3, Issue (5): 187-201. https://asjp.cerist.dz/en/article/105266
12. Al-Hajj, Dhahabiya Hamou, (2015), ***An Introduction to Cognitive Pragmatics***, Journal of the University of Kufa, Volume 9, Issue (1): 103-122. https://journal.uokufa.edu.iq/index.php/Kufa_Review/article/view/4447
13. 13. Al-Hassan, Ali Hatem, and Maysam Sabah Khudair, (2024), ***Cognitive Reading of Arabic Rhetoric: A Critical Reading***, Journal of Arab Scientific Heritage, Volume 21, Issue 2: 211-230. https://jrashc.uobaghdad.edu.iq/index.php/jrashc/article/view/1200/1046
14. Al-Halwa, Nawal Bint Ibrahim, (n.d.), ***On Cognitive Linguistics: An Approach to Conceptual Metaphor***, Princess Noura Bint Abdulrahman University Publications.
15. Al-Dhuwaibi, Lotfi, (2016), ***The Ability of Mental Space Theory to Interpret Linguistic Structures***, Al-Allama Journal, Laboratory of Textual Linguistics and Discourse Analysis, Kasdi Merbah University of Ouargla, Issue (3), December: 11-27.
16. Raboul, Anne, and Moschler, Jacques, (2003), ***Pragmatics Today: A New Science of Communication,*** (1st ed), translated by Saif Al-Din Daghqous and Muhammad Al-Shaibani, Beirut: Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing.

17. Stockwell, Peter (2017), ***Cognitive Stylistics***, Fusul Journal, Vol. 25, No. (100): 106-122. https://search.mandumah.com/Record/892875
18. Sloane, Raman (1996). ***Contemporary Literary Theory***, (1st ed), translated by Saeed Al-Ghanmi, Beirut: Arab Institute for Studies and Publishing; Dar Al-Faris.
19. Sha'abath, Adel Abdel Moneim, and Turath Abbas, (2014), ***Intertextuality of Form in Postmodern Art***, Journal of the College of Basic Education, University of Babylon, Issue (15), March: 584-604. https://becj-iq.org/view.php?id=634
20. Al-Sadr, Muhammad Baqir, (1981), ***The Logical Foundations of Induction***, 3rd ed., Beirut, Dar Al-Ta'aruf.
21. Al-Saghir, Muhammad Hussein (2020), ***Expressing Emotional Oppositions in the Holy Qur'an through Conceptual Metaphor***, International Journal of Humanities and Social Sciences, Issue (13), June: 36-52.
22. Abd, Waroud Saadoun, (2016), ***Letters and Testaments in Nahj al-Balagha: A Study in Light of Text Linguistics,*** PhD Dissertation, University of Qadisiyah/College of Arts.
23. Afifi, Ahmed, (2010), ***Towards the Text: A New Direction in Grammatical Studies***, (1st ed), Egypt, Cairo, Zahraa Al-Sharq Library.
24. Ammari, Ezz El-Din, and Boujalal, Rabie (2019), ***Cognitive Linguistic Concepts***, Al-Umda Journal of Linguistics and Discourse Analysis, Volume 3, Special Issue: 62-75.
25. Al-Fahham, Abbas, and Zainab Thajil (2022), ***Linguistic Policy in Nahj al-Balagha: A Study in Light of Cognitive Linguistics***, Wasit Journal of Human Sciences, Volume 18, Issue 1. DOI: https://doi.org/10.31185/.Vol18.Iss50.172
26. Qaddash, Lamia, and Yahya, Salah Eddine, (2021), ***Cognitive Linguistics and the Procedural Content of Frame Semantics Theory in Lexical Entries***, Journal of Contemporary Studies, Laboratory of Critical and Literary Studies, Algeria, Volume 5, Issue (2): 249-264.
27. Kayzaqani, Sayed Mahdi, Masoud Haqiqi, (2021) "***A Study of Sermons 27 and 34 of Nahjul Balagha based on John Searle's Speech Act Theory***" Journal of Modern Studies in Nahjul Balagha, Volume 5, Issue (9): 89-102.
28. Qarira, Tawfiq, (2017), ***Cognitive Poetics: Concepts and Applications to Ancient and Modern Poetic Texts***, 1st ed., Sfax, Dar Noha.
29. Langaker, Ronald, (2018), ***An Introduction to Cognitive Grammar***, translated by Azhar Zannad et al., Tunisia, National Translation Center.
30. Mangono, Dominique, (2008) "***Key Terms for Discourse Analysis***" 1st ed. Translated by Mohamed Yahyaten, Algeria, Arab House for Sciences.
31. Al-Mutairi, Maha, (2025), ***Semantics in Cognitive Linguistics: The Langacre Model as an Analytical Linguistic Study***, Egypt, Arab Journal of Arts and Humanities, Vol. 9, No. (36): 463-526.
32. Miftah, Muhammad, (1992***), Analysis of Poetic Discourse: The Strategy of Intertextuality ,*** Beirut, Lebanon, Arab Cultural Center.
33. Miftah, Muhammad, (2016), ***Unknown Statement***, 1st ed., Cairo, Egypt, Ru'ya Publishing and Distribution.
34. Al-Mutawakkil, Ahmed, (1995), ***Issues of the Arabic Language in Functional Linguistics***, 1st ed., Rabat, Dar Al-Aman.
35. Al-Musawi, Sadiq Kadhim, et al. (2023), The Argumentative Structure of Metaphor in Al-Mashhadi's Interpretation of Kanz al-Daqa'iq wa Bahr al-Ghara'ib, Wasit Journal of Humanities, Vol. 19, No. 1. DOI: https://doi.org/10.31185/.Vol19.Iss54.471

36. Najoum, Youssef, (2017) "***The Pragmatics of Speech Acts in Literary Texts: The Sermon of Imam Ali (PBUH) as a Model***" Annals of Arts and Languages Journal, Faculty of Arts, Mohamed Boudiaf University – M'sila - Volume 1, Issue (9) November: 100-115.
37. Habil, Yusr, (2017), ***Reference between Language and Discourse***, Tunisia, Tunisian Book House.
38. Al-Hilali, Khalil Abdul-Sada, (2020), ***The Sermon of the God-fearing by Imam Ali (a.s.): Thought and Behavior,*** Journal of the Islamic University College, Najaf, Volume 57, Issue (1): 13-22.
39. Yahya, Salah al-Din, (2020***). Mystic Pragmatics Before Pragmatics: An Introduction to Mystic Foundations***, Journal of Problems in Language and Literature, Volume 9, Issue (4): 57-81. https://asjp.cerist.dz/en/article/133936
40. Yahya, Hilal, (2017) "***Speech Act Theory in Contemporary Pragmatics: (John Roger Searle) as a Model***" Abaad Magazine, Issue (4): 129-138.
41. Bussmann, H. (1996), ***Routledge Dictionary of Language and Linguistics***, Routledge.
42. Lakoff, G., & Johnson, M. (2003), ***Metaphors We Live By***, University of Chicago Press.